الى المؤرخ الدكتور فيليب حتي - ذكرى الولاء القديم
من اخيه
انيس خ

Philip K. Hitti

الذكرى

IN MEMORIAM

وهي النشائد الخالدة التي نظمها شاعر العرش الانكليزي الفرد

تنسون تذكارًا لحياة صديقهِ ارثر هلَم

نقلها الى العربيَّة

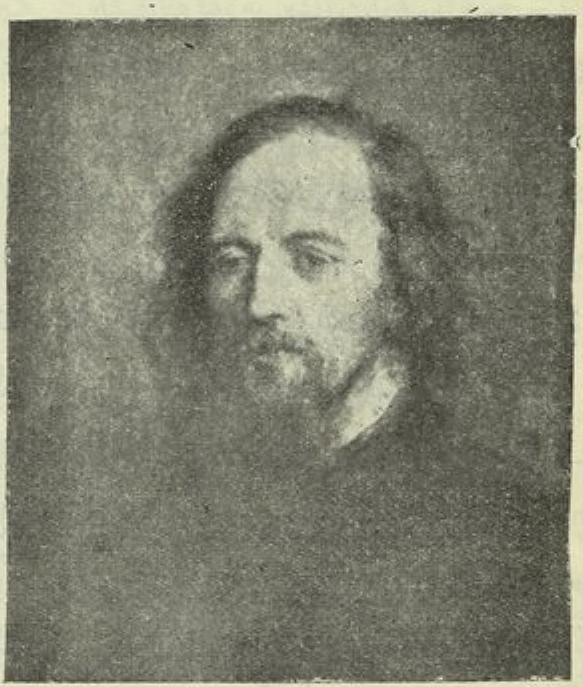
انيس الخوري المقدسي

استاذ الاداب العربية في جامعة بيروت الاميركية

طُبع في المطبعة الاميركانية في بيروت سنة ١٩٢٥

الى رفيقة الحياة

تذكاراً لحبنا وصداقتنا الخالدة اقدم هذه الذكرى



الفرد تنسون

شاعر العرش الانكليزي

الفرد تنسون

قال شاعر انكلترا الكبير "وردسورث". "اجتمعت بتنسون في لندن مرارًا ولا ريب عندي انهُ الاول بين شعرائنا الاحياء[١]" ولقد صدق فيما قال فان للورد تنسون المنزلة الاولى بين شعراء القرن التاسع عشر[٢] نبغ في عصر كان فيهِ كل الاسباب الممهّدة لنبوغ شاعر عظيم — عصر التقدم العلمي — عصر الخروج من ظلمات التقاليد القديمة الى نور الحضارة الجديدة فكان شعرهُ مرآة صافية تنعكس عنها تلك الروح العظيمة التي عُرف بها القرن التاسع عشر

وُلد هذا النابغة في ٦ آب ١٨٠٩ (وهي نفس السنة التي وُلد فيها دارون وغلادستون وابراهم لنكولن) في مزرعة من مزارع لنكولنشير (Lincolnshire) بانكلترا تدعى "سُومرسبي" (Somersby) وكان والدهُ الدكتور جورج تنسون قسيس تلك الناحية. وقد ظهر نبوغهُ الشعري في حداثتهِ فنظم بين الخامسة عشرة والثامنة عشرة بالاشتراك مع اخيهِ ديوانًا سمَّاهُ اشعار الاخوين يدلُّ على ما كان في نفسهِ الكبيرة من القوى العظيمة

وفي السنة ١٨٢٨ دخل جامعة كمبريدج وهناك عَرف بطل نشائدهِ أرثر هَلَم (وهو شاب يقاربهُ في العمر) فتحكّمت بينهما عرى الصداقة والمحبة حتى بلغت

---

(١) Students, Cambridge Edition XV.

(٢) وعلى راي جنسون (Tennyson-His Poetry) انهُ الآل الشعري في العصر الفكتوري (نسبة الى الملكة فكتوريا) وكذلك فانديك في مقدمتهِ على اشعار تنسون

اسمى درجاتها وهذه الصداقة بل هذه المحبة الالهية هي التي اوحت الى نفس الشاعر بعد موت صديقهِ الحانَ الخلود والحياة فنظمها للعالم بنشائد الذكرى كما سيجيء.

وكان في كمبريدج جمعية للمسابقات الشعرية ولها هناك شأن كبير. ففي ١٨٢٩ دارت المسابقات بين شعرائها فنال تنسون الجائزة الاولى لقصيدة سمّاها Timbuctoo ومن ذلك الحين تنبهت اليهِ الخواطر وشام الجمهور فيهِ رجلًا ولا كالرجال. ولحسن حظهِ كان في الجامعة يومئذٍ عدد من الطلبة الذين صاروا بعدئذٍ من كبار الرجال. فشبَّ شاعرنا بينهم في بيئة ادبية سامية سهّلت لهُ سلوك سبل المعالي ورفعت نفسهُ الى ذروات المجد والطموح. وفي ١٨٣٠ نشر ديوانًا لهُ من الشعر الغنائي (Lyric) ثم ديوانًا آخر في ١٨٣٢ . وعقب ذلك عشر سنوات لم يظهر لهُ فيها شيء الّا بعض قصائد متفرقة في الجرائد والمجلات حتى كانت ١٨٤٢ وقد اختمرت نفسهُ بالوحي الشعري ايما اختمار فنشر ديوانًا كبيرًا جمع فيهِ منتخبات من اشعارهِ السابقة وكثيرًا من شعرهِ الجديد فاقبل الجمهور على هذه الاشعار وبلغ اعجابهم بناظمها أن سمّوهُ شاعر انكلترا وتبع ذلك كثير من القصائد والملاحم كقصيدة الاميرة (Princess) سنة ١٨٤٧ ومدلي ثم الذكرى التي ظهرت سنة ١٨٥٠ . وفي هذه السنة اقترن باملي سلوُد . فحملت الى نفسهِ السعادة والسلام فكان لها تأثير شديد في حياتهِ الادبية وكان شاعر العرش وردسورث قد توفي قبل ذلك ببضعة اشهر فعيِّن تنسون مكانهُ وحظي بالمثول امام الملكة فكتوريا فقدَّم لها ديوانهُ السابع وفيهِ يذكر سلفهُ الكبير ورد سورث ويعدِّد مناقبهُ الشعرية السامية. اما اشعارهُ التي ظهرت بعد ان صار شاعر العرش

فكثيرة جدًا . ومات شاعرنا في السنة ١٨٩٢ واحتفل الانكليز بموتهِ احتفالاً عظيمًا ودفنوهُ في دير وستمنستر بين اعاظم الرجال . وقد جمع شعرهُ كل ضروب الشعر الراقي المستمدّ من منابع الوحي العالية . وكلهُ مزين بابدع الحلل وقلَّما قام شاعر غيرهُ طارت نفسهُ الى اعالي الخلود . ومسَّتها تلك النار الخفيَّة الخارجة من اعماق الوجود . شعورهُ مقرون بالاخلاص الحقيقي الذي يصحب دائمًا النفوس العظيمة وهو يرمي الى رفع النفس عن الدنايا وتوجيه الافكار الى الحياة الفضلى التي تراها العيون ولا تدركها العلوم . ان عظمة المفكر لا تتوقف على براعتهِ وتفننهِ بل على تلبُّسهِ بالفكر الرئيسي الذي يرمي اليهِ وعلى ما في ذلك الفكر من الحياة التي تحيي سواهُ هكذا كان تنسون مثال الحياة الفاضلة . كان كالينبوع العذب يجري في النفوس فيروي ظمأها ويرفعها الى مواطن السعادة والجمال . والذي يقرأُ اشعار تنسون ويفهمها يتمثل لهُ في جميعها فكر عام هو الغرض الذي ترمي اليهِ اشعارهُ فيرى كما رأى ذلك الشاعر العظيم ان الانسان الحقيقي هو الذي يجمع في طبيعتهِ الشعور والادراك . ويقرن في نفسهِ الجمال بالمعرفة

اما اسلوبهُ فغاية الغايات في الجمال . قال "باين" ان كلامهُ يتلألأ كالدرّ والياقوت . تطيعهُ اللغة فيجري بها في ميادين البيان الساحر . قال ستدمان ان في شعرهِ ما يمثل لنا ارقى معاني الفن الجميل وقال بروك يمتاز شعر تنسون بما فيهِ من الاشراق (او الوضوح الجذَّاب) والجلال النفسي (او احترام الذات) وهو رسول الحب والجمال للعالم[1] وقال كارليل انها نبضات قلب رجل حقيقي[2]

(1) Tennyson—Brooke 12 (2) Tennyson — His Poetry — Johnson 24

ومن اقوال هنري ڤانديك فيهِ[1] انهُ يمتاز بامور منها

(١) وصفهُ الدقيق للطبيعة (٢) امانتهُ في اظهار شعورهِ (٣) سعة اطلاعهِ العلمي (٤) حرصهُ على الاناقة وحسن الصياغة

هذا هو الشاعر الذي ارغب في ان اقدمهُ الى ابناء العربية رجاء أن يرى بعضهم في شعرهِ صوراً لم يروها من قبل فتتجلى لهم معاني الشعر الحديث الذي هو العامل الاكبر في تهذيب الامم وترقية الجنس البشري

(١) عن مقدمة Poems of Tennyson بتصرف

الذكرى

ما هي — وكيف نظمت

الذكرى نشيد الخلود ، اوحت بهِ الى شاعر انكلترا العظيم محبّة ولّدتها الصداقة المقدّسة بعد ان مسّتها نار الاحزان بلهبها الشديدة فاستعرت وهيّجت في اعماق الطبيعة تلك القوّة الخفيّة — قوة الشعر الخالدة

في كمبريدج عرف الفرد تنسون "ارثر هَلَم" وهناك نمت محبتهما فكانا معًا في كل مكان بين الاشجار على ضفاف النهر او في قاعات الجامعة العظيمة حيثما كانت ارواح العظماء السالفين تطلّ عليهما من سماء الخلود . وكانما كان كلٌّ منهما مكمّلاً للثاني فتمازجت اخلاقهما وتوحدت مقاصدهما حتى ارتبطا معًا برباط الحب الخالد . ذلك الحب الذي يهزأ بالعوادي ويزري بظلمات الحِمام

وكان ارثر اصغر من تنسون بسنتين لكنهُ كان مثلهُ ملآن من قوّة الوحي الداخلي . ومن ذلك الشعور الخفي الذي يرى ما لا يُرى فكان الاثنان متماثلين في نظرهما البعيد وطبيعتهما الشريفة

وزاد ارتباطهما ان ارثر هَلَم احبَّ اخت صديقهِ تنسون واحبّتهُ فخطبها وكان يقضي هو والشاعر واختهُ اوقات الفراغ في اشهى ما يقضي بهِ المحبّون اوقاتهم . زمن قصير مرّ عليهم كانوا لا يرون فيهِ غير انوار الرجاء ولا يلحظون فيما بينهم غير ابتسامات المناء

لكنّ الفلك دوار وقلما يطول ولاء الاقدار . فلم يكد الصديقان ينهيان دروسهما في الكلية وكلٌّ يتوقع لنفسهِ مستقبلاً زاهرًا حتى اصاب ارثر مرض في صدرهِ اهزل جسمهُ فاشار عليهِ الاطباء بترويح النفس خارج انكلترا فذهب الى النمسا برافقة والدهِ المؤرخ المشهور واقاما هناك ردحًا من

الزمن . وفي ذات يوم خرج والدهُ من المنزل الذي كانا فيهِ لنزهة قصيرة وارثر نائم في مخدعهِ ثم عاد وتفقد ابنهُ فرآهُ لا يزال نائماً فقال اتركهُ مرتاحاً في سباتهِ اللطيف وتنحّى الى رواق هناك يشغل نفسهُ بكتابة بعض الرسائل الى انكلترا . لكن سبات ارثر طال كثيراً فبدأ والده يشعر بقلق في نفسهِ . ثم قام ودخل المخدع ودنا منهُ ليوقظهُ . ومن يستطيع وصف حالهِ اذ مدَّ يدهُ الى ابنهِ فاحسَّ بتلك البرودة الهائلة . فعلم ان ولدهُ قد مات . وان لا يقظة لهُ بعد ذلك السبات

وطار النبأ المفجع الى انكلترا فنزل كالصاعقة على صديقهِ المحب تنسون وشعر كأنهُ هبط بعد موت ارثر الى جحيم من الآلام والشقاء . فاستولى عليهِ حزن شديد ملأ فؤادهُ وعقلهُ وابكم لسانهُ عشر سنوات(١) حتى اذا مضت سورة الحزن ورجع الشاعر الى نفسهِ بعد ان مرّ في ظلمات الشقاء وذاق مرارة الحياة جاشت نفسهُ بعواطفهِ الكامنة فاخرج للعالم نشائد الذكرى تذكاراً لتلك الصداقة الابدية التي ملكت جوارحهُ واثارت حياتهُ بل تذكاراً لتلك النفس النبيلة التي امتزجت بنفسهِ في الحياة والتي لا تزال في عالم الارواح توحي اليهِ اشرف العواطف واقدس الافكار

فالذكرى نشيد الهي يصف الشاعر فيهِ حالات النفس المضطربة وهي تحاول الخروج من ظلمات الحزن والآلام الى ربوع الرجاء والسلام

ومع ان روح التفجع ترفرف في كل دور من ادوارها وتتجلّى في كل نشيد من نشائدها فما هي في الحقيقة رثاء بل شرحٌ لعواطف النفس في سيرها نحو الخلود . في ارتفاعها عن عالم المادة والاوهام الى الوجود الاعلى الذي لا تدركهُ الافهام

او هي كما قال بعضهم اشبه بنشائد دانتي الشهيرة التي اوحت بها اليهِ محبتهُ لبياتريس الجميلة(٢) ففي هذه كما في تلك تنتقل نفس الشاعر من الظلمات الى النور والسلام . على ان ثمة فرقاً بين دانتي شاعر القرن الثالث عشر وتنسون شاعر القرن التاسع عشر ذاك لم يكن في طريقهِ شكوك تملأ نفسهُ فتدفعهُ في مهاوي اليأس والجحود . بل كان مسيّراً بايمان تلك الاجيال الاجيال البسيطة . ايمان التسليم بالعقائد المدوّنة في الاسفار المقدّسة . اما تنسون فقد قام في عصر العلم والانتقاد ولذلك كانت طريقهُ ملأى من الشكوك . كان في ارتفاعهِ نحو الخلود يسير بين اشواك الانتقادات المرة وظلمات الريب الداجية . وليس ذلك بالسهل على نفس كنفسهِ على انهُ لم يخشَ ضيماً . فسار يضيء

In Memoriam – Robinson (٢) Rolfe's Cambridge Edition XIV (١)

له الرجاء الحي ويقوده الوحي الطبيعي . نعم كثيراً ما كان يعثر ويوشك ان يقع في مهاوي الضلال. ثم ينهض ويواصل السير. حتى انتصر على الحزن والحمام وانار للمدلجين في ظلمات الوجود سبيل الحياة والخلود

شرح الذكرى

والذي يدرس الذكرى بامعان وروية لا بد ان يرى فيها ثلاث قضايا اولية وهي [١]

اولاً – ان الدين الطبيعي الذي نادى به اهل القرن الثامن عشر واعتنقه بعض الاجيال المتأخرة لا يمكن ان يكون اساساً لسعادة الانسان فان الطبيعة ليست كما يتوهم الماديون منبع السعادة والسلام بل هي معترك مخيف مبداها الاولي بقاء القوي وفناء الضعيف . وليس ذلك ما تطلبه النفس البشرية او تتشوق اليه من الراحة الحقيقية

ثانياً – ان تفسير الماديين لطبيعة الوجود ناقص في نظر النفس البشرية فان النفس لا تقبل اعتقاداً ينتهي بها الى تراب الضريح فقط . في الانسان روح الطموح والمحبة الازلية وكلاهما يتطلب ان يكون وراء التراب حالة تتم فيها رغائب النفس والاَّ فباطل كل امل بالتقدم وعبث كل خطوة الى الامام

ثالثاً – ان الايمان والرجاء قائمان على مبدا اعم واوسع من مبدإ الماديين فان مبادي العلم وقضايا المنطق لا تتناول الاَّ جزءًا صغيراً من اسرار الكون . اما الطبيعة البشرية الشاعرة التي تدري ما لا يستطيع اثباته بالبرهان فهي اوسع نظراً وادقُّ فهماً من العلم والمنطق وما العقل الاَّ مظهرٌ خارجي للطبيعة العميقة الحساسة . شخصية الانسان أهم من مدركاته الخارجية . وضميره الحساس يتطلب عالماً روحياً لا حدَّ لنموه وارتقائه

وليست هذه القضايا بقواعد رياضية يمكن اثباتها بالبرهان المحسوس بل هي اقتناعاتٌ داخلية اساسها الغريزة التي في نفس الانسان . فالذكرى دعوة يدعو بها الشاعر الناس عامة الى تطلب المعرفة العامة التي تشمل مدركات الطبيعة وحقيقة النفس . هي وتر جديد مسنَّة نفس الانسان فاسمعتنا الالحان العظمى التي وراء الطبيعة

اسلوب الذكرى واقسامها : تتألف الذكرى من فاتحة وقصيدة وخاتمة . فالفاتحة هي دعاء الى قوة

(1) In Memoriam — Robinson XVI

الحب الخالدة خارجٌ من اعماق النفس الشاعرة بضعفها في هذا الوجود . اما القصيدة فعبارة عن نشائد عديدة او ديوان كبير . لزم فيها الشاعر وزنًا واحدًا لزمهُ في الفاتحة والخاتمة ايضًا . وهي تقسم الى اربعة نشائد كبرى كلٌ منها يقسم الى ادوار عديدة . وهذي هي النشائد :

١ً – **نشيد الحزن** : وهو يصف احزان الشاعر ومرارة نفسهِ فيمثل للقارىء مشاهد متباينة من الآلام كأنما الشاعر يحاول ان يجد لنفسهِ عذرًا على شدة تأثرهِ من المصيبة التي نزلت بهِ . وينتهي بحكمة بالغة عرفها الشاعر في الحزن والآلام

٢ً – **نشيد الرجاء** : وهو اطول النشائد ولعلهُ اهمها يبدأ بقدوم عيد الميلاد والسنة الجديدة وفيهِ يرى الشاعر وهو في ظلمات الحزن شعاعًا من شمس الرجاء فيهتدي بهِ بين دياجي الشكوك التي تحيط بنفسهِ حتى يصل الى سماء الخلود منتصرًا على جيوش الضلال

٣ً – **نشيد السلام** : يبتدئ بعيد الميلاد الثاني . وفيهِ تشعر نفس الشاعر براحة داخلية فيصبح الحزن فيهِ هادئًا عميق القرار . وهنا نرى الشاعر يترك ربوعهُ القديمة وتذكارات صباه وصديقهُ المؤلمة وينتقل الى ربوع اخرى حيث تعود الذكرى اليهِ وهو هادئ النفس مطمئن الفؤاد ساكن العواطف

٤ً – **نشيد السرور** : وهنا ترتفع نفس الشاعر درجة اخرى . من الحزن الى الرجاء الى السلام الى السرور فيسود على نفسهِ شعور لا يوصف متولد عن اتساع فهمهِ . فهو يرى الآن صداقتهُ روحًا تتمثل لهُ في كل مكان . وهذا الشعور يهذب نفسهُ ويهيئها لقبول المحبة العظمى التي تشمل الجنس البشري اجمع وترفع الانسان عن محبة الذات الى محبة الغير وعن الشعور برغائب النفس وحاجاتها الخصوصية الى الشعور بمطالب البشرية وحاجاتها العامة

اما الفاتحة فعبارة عن عواطف يسكبها الشاعر امام المحبّة الازلية اعترافًا بقصورهِ وعجزهِ ومع انها نظمت بعد القصيدة رأيت اثباتها هنا لما لها من العلاقة الشديدة بروح القصيدة الاصلية . ولم أرَ ذلك في الخاتمة التي نظمت على اثر اقتران اخت الشاعر الصغرى بالاستاذ لاشنغتون بالرغم عما يراهُ بعض شارحي القصيدة او منتقديها (١) ولذلك اغفلتها مكتفيًا مما هو خارج عن القصيدة بالفاتحة فقط

كلمة في الشعر القديم والشعر الحديث

هذي هي القصيدة التي اقدمت على تعريبها اقدام السالك الخضمَّ المتلاطم اللجج. وانا لا ادّعي اجادة ولا اتطلّب جزاء. انما هي رغبة في النفس اتمتها طمعاً في ان اقدّم لاخواني ادباء العربية ما لا يرونهُ عادةً في آداب لغتنا من الاساليب الغربية بل من الشعر الذي يحول الموت الى حياة والخسارة الى حبٍّ وايمان لا لنقص في شاعريّة شعرائنا ولا لضعفٍ في نفوسهم بل لما في احوالهم الاجتماعية مما يصرفهم عن مثل هذه المرامي الشعرية

الشعر . والشعر في كل زمان ومكان قائم على ثلاثة اركان . موضوعهُ — اسلوبهُ — شاعريّة ناظمهِ

وعندي ان شعراء العرب من متقدمين ومحدثين لم تنقصهم الشاعرية فهم والحق يقال فرسان هذا الميدان وقد عرف منهم كثيرون من المجيدين الذين ينمّ شعرهم عن طبائع شعرية حقيقية . فشعراء الجاهلية ومن تبعهم من شعراء الاجيال التالية كلهم شعراء تفيض نفوسهم بتلك القوّة التي نسميها "الشاعرية" وهي تظهر في عرب البادية الذين صرفوا شاعريتهم في الوقوف على الطلول وانضاء الراحلة وقطع البوادي كما تظهر في اهل الرخاء الذين انغمسوا في الترف والملاهي وانصرفوا الى التجبيل والاطراء او في المفكرين والفلاسفة الذين كانوا يستخرجون الحِكَم من

الاخبار وينشدونها للغبطة والاعتبار . الشاعر شاعر سواء كان "قوال الزجل" او شاعر العرش ومن العبث ان نحكم على شعر امةٍ او منزلتها الادبية بشاعرية ابنائها وانما يستطاع ذلك بدرس احوال الشعر نفسهِ من حيث هو شعور الامة ومظهر حركتها العقلية

وما يقال عن الشاعرية عند العرب يقال عن اسلوبهم الشعري . على أنَّ شعراء العربية اميل الى المحافظة عَلَى الاساليب القديمة فقلَّما ترى تغيرًا في الاسلوب الشعري القديم الَّا ما ادخلهُ اهل الاندلس من الموشح والزجل وما يحاول شعراء اليوم المفكرون ادخالهُ من الفنون الحديثة . فان طائفة من اهل هذا الزمان قد بدأوا يبنون على اساس الاوزان القديمة هياكل شعرية جميلة تشبهُ ما عند الافرنج مع المحافظة على موسيقى الابحر العربية . ذلك طبيعي في كل امةٍ حيَّة تجاري نواميس النشوء والارتقاء . والذي يقول بوجوب تحدّي القدماء واتّباع طرائقهم إِمَّا جاهل لمعنى الشعر الحقيقي . او ان عينيهِ في مؤخر رأسهِ لا ينظر الاَّ ما وراءهُ

ولا انكر انهُ يجب على الشاعر العربي الحديث ان يدرس الشعر القديم درسًا وافيًا ويتابع مجاريهِ التاريخية ليطَّلع على احسن ما نظم في الاعصر المختلفة وليكون قادرًا على استعمال الاوضاع الشعرية المتينة على ان ذلك لا ينبغي ان يعميهُ عن رؤية جمال الطبيعة الفتان وتقدم الامم في سبيل العمران او يصمَّ اذنيهِ عن سماع الالحان العميقة التي تصل الى اذن الشاعر الحقيقي من وراء الطبيعة

وكما انهُ ضروري للشاعر الحديث ان يدرس الشعر القديم كذلك ضروري

لهُ ان يدرس آداب الامم الراقية ويتابع مسير الحياة الاجتماعية عليهِ ان يجاري نوابغ الشعر في ميادينهم فطوراً يهبط معهم الى قاع الظلمات السفلى ليسمع انغام الآلام وتارةً يطير الى السماوات العلى فيرى امجاد الخلود ويسمع اناشيد السلام . على ضفاف الانهار وفي ظلال الاشجار . على رؤوس الجبال وفي اعماق الاودية حيثما سار الشاعر النابغة فعلى الشاعر الحديث ان يسير معهُ ليسمع من الطبيعة تلك النغمات المقدَّسة التي لايسمعها الاَّ ابناء الطبيعة الحقيقيون. وليرى من بدائع جمالها ما لا يراهُ الاَّ النوابغ الملهَمون

حسن ان يكون الاسلوب الشعري موسيقياً لهُ ايقاع الالحان المؤثرة . واحسن منهُ ان تكون معانيهُ كذلك وكأني ارى بين ابناء العربية اليوم حركة ترمي الى تفضيل موسيقى المعاني والعواطف على رنة الالفاظ والقوافي . وهي حركة اذا اقترنت بمتانة التعبير وجمال الصياغة كانت غاية الغايات في الاساليب الشعرية الشعر العربي اليوم يحتاج الى رجال اوحت اليهم آلهة الشعر افكارها السامية وعلمتهم الضرب على اوتارها المؤثرة فيحوكون للشعر اثواباً قشيبة تلائم روح الحياة الجديدة

بقي علينا موضوع الشعر . وهو في نظري اهم اركان الشعر وفيهِ تظهر قوة الشاعر الحقيقية. ان الشاعرية كما رأينا غريزة في كل الشعراء. والاسلوب فنٌ خارجي يظهر فيهِ الشاعر معانيهِ. اما الموضوع فهو مرمى الفكر ومستمدّ الالهام . هو الذي نحكم بهِ على شعر الشاعر او على ادب الامة . واني لم اقدم على تعريب شعر تنسون مع شعوري بعظم المسؤولية في ذلك الاَّ لرغبتي الشديدة ان اوجه انظار ادبائنا الى

أنّ في الشعر الحقيقي غير الشاعرية وترصيع الكلام . ثمّت الموضوع الموحي الذي اهمله اكثرنا واهتم به الافرنج فسبقونا في الحياة الادبية . ومهما فخرنا بشعرنا وقوة شعرائنا فانّ لا نستطيع ان نفخر بمواضيعنا الشعرية وتحليقاتنا الفكريّة التي تجعل الشعر والفلسفة والحياة مظاهر لقوة واحدة في النفس المفكرة . قلب ما شئت من دواوين الشعر العربية في اي عصر من العصور السالفة فهل تجد مثل تصوّرات دانتي في جحيمه وسمائه . واجتماعيّات شكسبير على السن رجاله ونسائه . هل تجد مثل قصيدة "الانسان" لبوب "وهيواثا" للونغفلو والذكرى لتنسون والخلود لورد سورث وعواصف الروح لفكتور هيغو وفوست لغوته والفردوس المفقود لملتون . فالموضوع الشعري لم ينضج بعد في اشعارنا وذلك ما يجعل اكثر شعرنا من باب الفن الخارجي او هو كما قيل "كلام مقفّى موزون"

الشاعر القديم الروح او العصري المحافظ هو على شاعريته القويّة قصير النَفَس ضيّق مجال التخيل قلّما يترك الارض التي ولدته فاذا اقتضت الداعة كلمة في مدح او هجاء او عظة وارشاد او وصف وغزل اجاد ما اراد ولكنهُ عاجز عن تشييد الصروح الشعرية العالية التي لا بدّ في تشييدها من مرمى ترمي اليه وخطة تجري بموجبها حتى اذا تمت كانت بناء فلسفيًا رفيعًا يملأُ النفس ويسرّ الجوارح

* *

كانت اعصر وكان الوحي الشعري فيها مستمدًا من عروش الاقيال وساحات القتال . او من مفاخر القبيلة ومكارم الآل . في تلك الاعصر نشأت

الالياذة اليونانية والمعلقات العربية فحملت لنا الوحي القديم سالماً من الشوائب وصوّرت لنا العواطف القومية في تلك الغياهب. على ان للشعر منابع غير تلك. الشعر اليوم نظرة ثاقبة الى ما وراء الحياة الدنيا – الى الملأ الاعلى – عالم المبادىء السامية والنظامات الروحية. والشاعر الحقيقي دقيق النظر والسمع والشعور يرى ما لا يُرى ويسمع ما لا يُسمع ويشعر بما لا يُشعر به. فليس شعرهُ كلاماً مقفى موزوناً فقط. ولا اعذب ما فيهِ اكذبهُ. بل هو كما قال كارليل في كتاب الابطال كالنبي. هذا يحمل رسالة الواجبات وذاك يحمل رسالة الجمال. ويعني بذلك جمال الوجود والنفس

روح الفضيلة – جمال الطبيعة – نور الخلود – حب الحقيقة تلك مزايا الشعر الحقيقي لا سيما في عصر كعصرنا تألقت فيهِ انوار العرفان وارتقت النظريات الادبية الروحية في بني الانسان

ويشترط في الشاعر ان يكون كبير النفس شريف المبدإ يأبى الضيم ويحتقر الظلم وخسّة النفس. وهو لعمري شديد الاخلاص لا يرائي ولا يخادع ولا يتطلّب جزاء. ذلك منافٍ لطبيعتهِ والاّ فما الفرق بينهُ وبين ناظمي الكلام؟

ان كمال المبادىء الادبية ان يرى الانسان الحقيقة الخفية ويصوّرها كما يراها. هذا هو الشعر وذلك هو الشاعر وليس يبقى في الوجود الاّ العاطفة الصادقة الخارجة من اعماق النفس

ومتى سمت مرامينا الشعرية وقام فينا شعراء انبياء يقودون الراي العام الى

مواطن الفضيلة ويولّدون منه قوة فعّالة في تهذيب الامة وترقية عواطفها — متى قلّ فينا الادّعاء العلمي ومات النظم السخيف لاجل الشهرة – متى اصبح الشعر العامل الاكبر في بناء قوميتنا ورفع مستوانا الاخلاقي فحينئذٍ يحق لنا ان نفاخر بشعرنا الحديث ونبني لشعرائنا هياكل مجدٍ يقيمون فيها الى الابد

الفاتحة

يخاطب فيها الشاعر "الحب الخالد" مقراً بعجزه عن ادراك اسرار الخالق في الوجود معتذراً عن الضعف الذي يبدو في الحزن على صديقه الراحل

أيها الحبُّ في سماء الخلودِ　　يا ابن رب الاكوان ذا السلطان
لم نشاهدْك نحن في ذا الوجودِ　　سافر الوجهِ باديًا للعيـان
غير أنَّ الايمان يهدي خُطانا　　ويُرينا ما لا ترى العينانِ (١)

***

انتَ ابدعتَ هذه الكائناتِ　　ووهبتَ الحيـاة للاحياء
وعليها قضيتَ حكمَ المماتِ　　لا مفرٌّ من حكم هذا القضاء
ثمَّ دستَ الحِمام حتى ترينا　　انَّ من خلفهِ الوجود الثاني

***

لست تُبقي الانسان طيَّ اللحودِ　　(تحت رقِّ التراب والظلماء (٢))
انتَ اوجدتهُ ومعنى الوجودِ　　كامنٌ عنهُ في زوايا الخفـاء
يحسبُ الموتَ لن يوافيهِ يوما　　والى الموت غاية الجثمانِ

---

(١) في الاصل – يا ابن الله المقتدر ايها الحب الخالد الذي لم نشاهد نحن (اهل هذا الزمان) وجهه. بالايمان وحده شاهدنا فآمنا بما لا نستطيع اثباته بالبرهان

(٢) هذا العجز توسع لتفسير الفكر الاصلي في الصدر

كالهٍ تبدو لنا قدّوس في اجلّ المظاهر البشريّه [1]
ما لنا من ارادةٍ في النفوسِ سرّها دقّ عن عقول البريّه
فهي فينا لكي تسير دواما حسب رأي المهيمن الرحمنِ

***

نحن نمضي وعلمنا [2] سوف يبلى "كل شيءٍ مصيرهُ للزوالِ"
ما عرفنا من الحقيقة الاّ نُتفًا أُلبست ثياب الخيالِ
هي بعض الانوار منعكساتٍ في النُهى عن مكوّن الاكوانِ

***

ما لنا غيرُ ثابت الايمانِ كيف نرجو بالعقل فهم الكمالِ
يدركُ العقل ما ترى العينانِ والذي لا يُرى بعيد المنالِ
منك ايماننا فزدهُ اتّقادا وبهاءً يا مصدر الإيمانِ

***

واعهد العلم بالنماء فينمو باطّرادٍ على مدى الأيّامِ
واملأ النفس بالخشوع فتسمو هي والعقل في اتمّ وئامِ
مثل صوت موقّع اللحن حلوٍ يتعالى على كرور الزمانِ [3]

---

(١) هذا الشطر في الاصل هكذا — تبدو العليا وتبدو بشريًّا وانت اسنى مظاهر الرجولة او اقدس الكمالات البشرية (٢) في الاصل نواميسنا ونظاماتنا ويراد بها هنا ما تسنّه لنا المعرفة

(٣) هذا الدور في الاصل موصول بالتالي على هذا النسق — فيكون العقل والنفس متقدين كنغم موسيقي حسن التوقيع — ولكن اعظم او على تعاظم

نحن حمقى بطبعنا اغبياء　　كم حقرناك عند امن جزائك
ربِّ عفوًا فاننا ضعفاء　　فاعنّا على احتمال ضيائك
وأعِنْ هذه العوالمَ حتى　　تستطيع احتمالَهُ كلَّ آنِ

* * *

ربِّ عفوًا عما بنفسي اراهُ　　من قصورٍ يراهُ غيري فضلا
قد ينالُ امرؤٌ لفضلٍ اتاهُ　　من ثناء الانام قِدْحًا مُعلّى
انما الله بارئُ العالمينا　　لا يرى فضلَهُ سوى نقصانِ

* * *

انَّ حزني على الحبيب الفقيد　　لشديدٌ ومهجتي في اتقادِ
لا تلمني لضعف قلبي العميد　　واختبالي من هول هذا البعادِ
هو حيٌّ وفي جِنانك ربي　　ساراهُ اولى بسكنى جَناني

* * *

ولي اغفر ندبي وآلام صدري　　انهنَّ اضطراب ذاوي شبابي(1)
ان يقصِّر عن الحقيقة شعري　　فتجاوز عما ترى في اضطرابي
واعِنّي لكي اكون حكيما　　بضياء من فيضك الربّاني

---

(1) اضطرابا عمري المنهوك . في الاصل اضطرابات شبابي المنهوك او الذاوي

نشيد الحزن

وهو سبعة وعشرون دوراً

الدور الاول

لا ريب ان في اختبارات الانسان المرّة فائدة كبيرة لحياته. ولكن كيف ارى لي من فائدة في هذا المصاب العظيم؟ كيف تزداد حياتي بخسارة كهذه الخسارة؟ اجل ان الزمان قد يضعف الحزن بالسلوان غير اني لأوثر اشد الاحزان على راحة تجيء من الفتور والنسيان

كان عندي حقاً نشيدٌ حلالي — من لعوبٍ بالطف الاوتارِ (١)
انما المرء يرتقي للمعالي — سلماً من مرارة الاختبارِ (٢)

✲ ✲ ✲

غير ان الآني خفيٌ علينا — من يرى في خسارةٍ ارباحا
او يرى ما وراء داجي السنينا — عوض الدمع والشقا افراحا

✲ ✲ ✲

فاقرن الحزن بالمحبة كيلا — يضمحلاّ على كرور الزمانِ
والزم الموت والشقا لك خِلا — وترنّح بنشوةِ الخسرانِ

✲ ✲ ✲

فلهذا اولى واشهى مراما — من فتور يغشي الهوى في الفؤادِ (٣)
كيف نرضى بأن نرى الايّاما — فائزاتٍ ينعينَ صدق الودادِ

Eng. Prose and Poetry Manly 540
In Mem. Robinson 173

(١) الاشارة هنا الى غوته شاعر المانيا او الى شكسبير راجع

(٢) الاصل ان الناس يرتقون على سلالم من رفات نفوسهم والمراد عثراتهم واختباراتهم

(٣) هذا البيت متصل في الاصل بالبيت السابق اتصالاً اعرابياً

الدور الثاني

ان خوفي من تغيّر عواطفي يجعلني احسد الشجرة القائمة على القبر لانها ثابتة في كآبتها وانقباض محيّاها على ان رغبتي الشديدة ان يكون قلبي جامداً كقلبها يجعلني اتوهم شيئاً من هذا التغيّر في داخلي

دوحةَ السرو يا خفيرَ القبورِ (١) اذ مددت الجذورَ مثل الشباكِ
حول رأس بلا نهى او شعورِ وعظامٍ مطويةٍ في ثراكِ

✡ ✡ ✡

بتوالي الفصول في العام تحيا من جديد عوالم الاحياء
وارى الناس تحت ظلِّك تطوى وتُوارى في الظلمة الظلماء

✡ ✡ ✡

لا ربيعٌ يكسوك قط جمالا لا شتاءٌ يستطيع تغيير حالِك
لا ولا الصيف شمسهُ تتلالا عنك يجلو ظلام دهرِ حالِك

✡ ✡ ✡

قلبكَ الصلْبَ كلما اتأملْ راغباً ان يكون ذا القلب فيّا
فكأنّي لرغبتي اتحوّل عن حياتي اليكِ شيئاً فشيّا

---

(١) في الاصل شجرة الـ Yew وقد آثرنا السرو في الترجمة العربية لاننا نألفه على القبور هنا اكثر من النوع الآخر

الدور الثالث

ومع ذلك فان بي مخاوف من ملازمة الحزن لي. لان الحزن يكسو كل شيء ثوبًا قاتمًا ويملأ الحياة باليأس والقنوط فيجب ان اسحق سلطنة قبل ان يدخل الى العقل ويسممهُ

ايها الحزن انت أَرْيٌ وعلقم(١) كاهنَ الموت يا امرَّ الرفاقِ
ما ترى انت هامسٌ تتكلّم بشفاءِ الخداع لي والنِّفاقِ

✲✲✲

قال "ان النجوم تجري حيارى دائرات بلا هدى او نظامِ(٢)
وكثير منهنَّ امسى قفارا وارى الشمس تدنّي للحِمام"

✲✲✲

"وخيالٌ هذي الطبيعة ساري ليس فيها من جوهرٍ او روحٍ
إن انغامها صدى اوتاري فهي خلوٌ من كل معنى صحيح"

✲✲✲

أَفأَرضى للنفس هذا الضلالا وارى الحزن هاديًا للصواب
ام كثيرٌ العقل يبغي انسلالا فلابادر لسحقهِ في الباب(٣)

---

(١) الأري العسل والعلقم الحنظل المر

(٢) العددان الثاني والثالث هما ما يتوله الحزن او ما يولدهُ من الصوَر المظلمة في النفس

(٣) في الاصل هل ارى الخير في الحزن ام هو شرٌ يبغي الدخول الى العقل الخ

الدور الرابع

أنشد الراحة بواسطة الرقاد فلا أجدها . ان الارادة قد تغفو قليلاً ولكن في النفس قوى اخرى تظل مستيقظة فيبقى القلب لذلك شاعراً بالألم على ان الارادة متى عادت الى اليقظة نشطت الانسان وكبرت آماله

انني للرقادِ سلمتُ نفسي وجعلتُ الدجى مليكَ الاراده
غير اني كالفلك في اللجّ أمسي مُلكَ الموجُ والرياح قياده

* * *

ايهِ يا قلب ما الذي قد عراكا لست تدري ولا تروم سؤالا
أتخشى ان تسأل النفس ذاكا ولِمَ النبض خفّ فيك كلالا

* * *

انت يا قلب قد فقدت السرورا في ربيع الحياة والعيش ناضرْ
فاكسر الكأس أجر(١) دمعاً غزيرا جمّدته الاحزان وسط المحاجرْ

* * *

كلّ ليلٍ يمرُ داجي الغمام في جفوني ينزِلَ لي الاشجانا
غير ان الصباح يحيي اعتزامي صائحاً بي قم بدّد الاحزانا(٢)

---

(١) كأس الحزن
(٢) في الاصل صائحاً ما انت العوبة الاحزان

الدور الخامس

ولئن كان الكلام لا يستطيع ان يعبّر عن عواطف الحزن العميقة فهو كالبلسم للجرح يهد آلمه و يخفف الشعور به

انّما القول كالطبيعة يخفي جوهر النفس ما وراء الظواهر
فحرامٌ قولي فما القول يوفي غير جزءٍ مما تكنّ الضمائر

* * *

بيد ان الاشعار للنفس راحٌ ورقاد لثائر الاعصاب
فالبهيّ دائماً ترتاح انفس مسّها اليم العذاب

* * *

بكلامي سترت احزان صدري كاتّشاحي للقرّ خشن المسوح[1]
انما القول نقطة من بحر او تلاميحُ من شعور الروح

(1) نقط من بحر او تلاميح هي في الاصل رؤوس اقلام والمعنى واحد

الدور السادس

تأتوني رسائل التعزية من كل صوب ولكن اي شيء يعزّيني ؟ أقول اصدقائي ان كثيرين يتألمون ايضاً وان بين احبائي من الاحياء من قد يقوم مقام صديقي الراحل ؟ كلا ان مصابي لاكبر من ان يخفّ بالعزاء . وكما يناجي الوالدة او الوالد نعي ابنهما الوحيد وهو بعيد عنهما او الحسناء نعي حبيبها وهي بشوق تنتظر عودته فاجأني نعي صديقي فتركني وحيداً منفطور الفؤاد دائم الحسرات

قد يعزّونني بقول جميلٍ ويقولون لي الامَ البكاءُ
اي قلب لم ينكسر لخليلٍ وكثيرٌ خلّانك الاحياءُ

* * *

أفخطبي يخفُّ ان كان غيري قد رمتهُ مثلي يدُ الارزاءِ
كلُّ يوم يقلُّ حزنًا لصدرٍ (١) وازديادُ الشقاءِ يزيد شقائي

* * *

أيُّها الوالد الذي قام يشربْ بافتخار نخبَ ابنهِ في القتالِ
قبل ان ترشف الشراب المطيَّبْ نفذ السهم بابنك الرئبالِ

* * *

أيها الامُّ اذ تصلين كيما يرأف الله بابنك البحّارِ
قبل ان تكملي صلاتك يُرمى جسمهُ الميت تحتَ لجِّ البحارِ

---

(١) اي لشخص ما

هكذا كنتُ اذ جلستُ اسلّي مهجتي باللقاء بعد الفراقِ [١]
وبراعي يخطُّ والحبُّ يملي ما ابثُّ الحبيب عند التلاقي

* * *

فرحَ القلبِ جاذلاً برجائي طائرا نحوهُ لفرط الهيامِ
كلما لاح بارق من ضياء قلت وافى بثغرهِ البسّامِ [٢]

* * *

يا فتاةَ وديعة النفس باتت ترتجي عودة الحبيب المسافر
راقها حسنها فسرّت ومالت تولي[١] ترتيب شعر الضفائر [٣]

* * *

كلهم يرتجون ذاك التلاقي هوذا البيت ساطع الانوار
وعلى صدرها يد الاشواقِ وضعت زهرةً من الازهارِ

* * *

انهُ مقبل وسوف يراها املُ الهب الفؤاد اشتعالا
فتجارت للوجنتين دماها خجلاً زادها بهاً وجمالا

* * *

ثم دارت ايضاً الى الشعر لكن حين دارت هوت يد الاقدار
فوق رأس الحبيب والقلب آمن (فطواهُ الردى بعيد الدارِ) [٤]

---

(١) لحالتها (الوالدة والوالد) كانت حالتي وانا انتظر عودته واستعد لما سابته من عواطف الشوق والمحبة

(٢) في هذا العدد تصرّف مع بقاء المعنى الحقيقي (٣) في الاصل يا حمامة وديعة.

(٤) في الاصل ثم دارت ثانية لتصلح ضفيرة وفي تلك الدقيقة قتل حبيبها غرقاً او سقوطاً عن ظهر فرسه او غير ذلك

اي شيء يبقى لقلبي المشوق ۔ اي شيء يبقى لتلك الفتاة
انا احيا وليس لي من صديق وهي تبقى وحيدة في الحياة

الدور السابع

يتولاني الارق الشديد فانهض قبل شق الفجر قاصداً منزل صديقي القديم وهناك اقف امام بابه متذكراً تلك اليد التي كانت تفتحه لي . واني لكذلك اذ يستفيظ اهل المدينة وتبدأ حركة الاعمال وتشتد العواصف والامطار

منزل الحِبِّ[1] ها انا الآن واقف في الدياجي ولست أقرع بابك
كنت قبلاً تثير في العواطف كلما جئت زائراً اصحابك

***

اين تلك اليد التي كنت الفا ها بعطفٍ ممدودةً للسلام
طار نومي وصرت كاللص اسعى باكراً قبل شق ستر الظلام

***

ليس حِبِّي هنا وليس براجع وذا الصبح قد بدا للعيان
من خلال الامطار فوق الشوارع فتجارت حياتها من ثاني[2]

(١) الحِبّ بالكسر اي المحبوب (٢) حياة الشوارع اي حركة الاعمال فيها

الدور الثامن

يشبه الشاعر نفسهُ امام منزل صديقهِ بمحبٍ يؤمّ بيت حبيبتهِ فيجدها غائبة فيستولي عليهِ الغمّ الشديد على انهُ قد يرى هو و يجول في الدار حزيناً زهرةً ملقاةً على الارض من الزهور التي كانت فتاتهُ تهواها فيلتقطها و يحتفظ بها و يسقيها من دموع حبّهِ

كمحبٍ يهزهُ الحبُّ شوقا　　للقاءِ الحبيب وهوَ بعيدُ
ثم يأتي دار الحبيب فيلقى　　انهُ غائب وليس يعودُ

٭ ٭ ٭

فيعود السرور فيهِ اكتئابا　　كلُّ شيءٍ يمسي لديهِ ضئيلا
ليس دار الحبيب الأيابا　　بعدهُ والحياة عبئاً ثقيلا

٭ ٭ ٭

هكذا قد رأيت تلك المنازل　　وانا واقف لديها احتراما
ليس ربعٌ بعد الحبيب بآهل　　ليس نورٌ الا دجىً وظلاما

٭ ٭ ٭

بيد ان المحبَّ وهو يجول　　في ربوع يشوقهُ مرآها
قد يرى زهرةً علتها الوحولُ　　كان قبلاً حبيبهُ يهواها

٭ ٭ ٭

هكذا الان زهرتي الشعريه　　في عميق الاحزان والآلام
في فوادي المهجور بالذكرحيه　　سوف تبقى على مدى الايام

زهرةَ الشعر بالدموع الجواري   ها انا اليومَ زارع فوق رمسهِ
فهنا إنْ تعش تعش بازدهارٍ   او تمُتْ كان موتها فوق رأسهْ

الدور التاسع

مات ارثر هلَم في النمسا فنقل الى ايطاليا ومنها بحرًا الى وطنه انكلترا وفي هذا الدور والا١ وا الثامنة التالية نفثة عواطف الشاعر الى المركب الذي يقلّ جثمان صديقه فيبث اشجانه ويصوّر مميزا بالوانٍ شتى هي غاية في الجمال

ايها المركبُ الجميل القاصدْ   من شواطي ايطاليا اوطانه
سر مع الريح بالحبيبِ الراقدْ   طائرًا حاملاً لنا جثمانه

✲ ✲ ✲

طرْ الينا نحن الذين عليهِ   نذرف الدمع بكرةً وعشيهْ
آه . ماذا يفيد ان نبكيهِ   عبثٌ هذه الدموع السخيهْ

✲ ✲ ✲

سِرْ بامنٍ في الليل والطقس صاحٍ   لا رياح تجري بما نخشاهْ
سِرْ الى ان يضيء نجم الصباحِ   مشرقًا مثل حبنا في سناهْ

✲ ✲ ✲

وانصتي ايها السماء احتراما   والزمي ايها الرياح السكينه
لحبيبي اخي الذي قدْ ناما   فارقدي فارقدي امام السفينه

غاب عني ولست بعد اراه   قبل ان ينطفي سراج الحياة
في فؤادي فوق الاخاء هواهُ   فوق حبِّ الابناء للامهات (١)

الدور العاشر

الى المركب ايضاً

جرسُ الليل فوق ظهرك يقرعْ   وعلى جانبيك صوت العُبابِ
والقناديل في القماريِّ تسطعْ   والنواتي في جيئةٍ وذهابِ

* * *

قد اعدت الملاحَ بعد الفراقِ   واعدت الغريب للاوطانِ
وحملت البريدَ للمشتاقِ   والينا رفاتَ جسم فانِ

* * *

هاتهِ انهُ لدينا لاشهى   ان نراهُ يثوي ببعض الهياكل (٢)
او بلحدٍ بين الازاهر يُروى   نِعم الشمس والسحاب الهاطلْ

* * *

من ثواهُ في عمق ذاك العُبابِ   حيث يخفى في ظلمة الامواج
يتقاذفنهُ مع الاعشابِ   بين اصداف بحرها العجّاج (٣)

---

(١) قابل هذا المعنى بقول الفارض . نسب اقرب في شرع الهوى بيننا من نسب من ابوي

(٢) هذا الدور في الانكليزية خمسة اعداد ولكن لشدة اتصال الدور الثالث بالرابع في الاصل ادغمناهما معاً وجعلنا الدور اربعة اعداد

(٣) والمراد بهذه الاعداد الاخيرة ان قبرهُ على اليابسة في وطنهِ سواء كان في وسط كنيسة او في مدفن قريباً افضل بكثير من ان يكون في قلب البحر العجاج المتلاطم الامواج

الدور الحادي عشر

الصباح هادىء والبحر ساكن وكذاك انا في يأسي ساكن العواطف هادىء الشعور وسكون الموت يخيّم على الصدر الكريم الذي نقلتِ السفينة الينا

هادىءٌ ذا الصباحُ يحلو لنفسٍ   هي اهدا في حزنها المكنونِ
ليس فيهِ من نأمة او حسٍّ   غير وقع الاوراق تحت الغصون

***

وسكونٌ على الندى المتقطِّر   في النجيمات والحقول النديهْ
وشعاع الغزالة المتكسِّر   عن خيوط العناكب الفضيِّه [1]

***

هادىءٌ ساكنٌ ضياء الصباحِ   حين يغشى القرى بفيضٍ عميمِ
فوق هذي الربى وهذي البطاحِ   وهي تمتدُّ للمحيط العظيمِ

***

والهوا في سكينةٍ وركونِ   وكذاك الاوراق رأد السقوط [2]
وبقلبي ان كان لي من سكونِ   فسكون الاسى وفرط القنوطِ

***

وكذا البحرُ في هجوعٍ عميمِ   وعلى الموج رقدةٌ وسكينه
وسكون الردى بصدرٍ كريمِ   هاجع ثمَّ فوق ظهر السفينه [3]

---

(١) اشعة الشمس المتكسرة عن نسج العنكبوت الى الوان شتى (٢) راد السقوط اي قبل ان تسقط عن الاشجار اشارة الى ان الفصل فصل الخريف (٣) في الاصل يعلو ويهوى بحسب حركة السفينة

الدور الثاني عشر

يشبه الشاعر نفسه بحمامة من حمام الزاجل تطير بسرعة في الفضاء وهي تحمل رسالة حزن . قال كذلك نفسي تطير لملاقاة المركب وتحوم عليه حاملة رسائل الحزن ثم تعود الى مقرها في الجسم .

ضائعَ العقل بالاسى خلت أنّي مثلُ ورقاء فوق متن الرياحِ
حملتْ في الفضا رسالة حزنٍ حين طارت معقودة بالجناحِ

***

هكذا نفسي الاسيفةُ طارت في فضاء الخيال والافكارِ
تركت هيكل التراب وسارت فوق هام الرُّبى وفوق البحارِ

***

لا تبالي الإعصارَ والانواء وهي تجري نحو الحبيبِ حزينه
في سماء الجنوب(1) حتى تراءى من بعيد لها شراع السفينه

***

فبكت حسرةً وصاحت بندبٍ أيعود الحبيبُ بعض رفاتٍ(2)
أهذي يا دهر غاية حبّي ويح نفسي وذا مصير الحياةِ

***

ثم حامتْ من فوقها واعادتْ نغماتِ الاحزانِ والآلامِ
والى الجسم بعد حين عادت من طوافٍ في عالم الاحلامِ

(1) سماء الجنوب اي فوق البحار الجنوبية (2) أيعود صديقي عظاماً بالية

الدور الثالث عشر

ان حزني كحزن زوج محب فقد رفيقة حياته ولفرط وجده رآها في الحلم قريبة منه فلما اراد ان يتحقق ذلك طار حلمه فرجع الى غمه وعذابه . ولكن مالي قد عصبني الدمع . هل انا واهم في حزني ? ايها الايام افهميني الحقيقة . اينظبني من هذا الحلم التقول !

كدموعي دموعُ زوجٍ محبٍّ　　　افقدته الايام خير رفيقِ
فرآها في الحلم منهُ بقربٍ　　　واليها دنا بقلبٍ مشوقِ

✲ ✲ ✲

ثمَّ طار الكرى من الجفن حالا　　　واعتراهُ في الليل غمُّ السهادِ
هل ترى للعزاء ثَمَّ مجالا　　　ايها الزوج ؟ تلك حال فؤادي

✲ ✲ ✲

يا لهول الاسى فقد مات حبي　　　يا حنيني الى رفيق شبابي
كان شهمًا حرًا كريم القلبِ　　　كان روحًا لا هيكلاً من ترابِ (١)

✲ ✲ ✲

أرني يا سنونُ أنْ ليس حزني　　　حلمًا في الكرى ونارُ ضلوعي
كل شيء يبدو غريبًا لعيني　　　وذهولي قد حال دون دموعي

✲ ✲ ✲

واراني على جناح الفكر　　　بسكونٍ نحو السفينة ارنو
لا ابالي كانَّ احمال تجْرٍ　　　فوقها لا رفاتهُ اذ تدنو (٢)

---

(٢) في الاصل كان روحًا لا جسدًا (او لا صوتًا ذا حياة)　　(٢) احمال تجر اي بضاعة تجار ذلك يدل على ان عظم اضطرابه قد انساه حينًا البكاء والعويل

الدور الرابع عشر

وكأني من غرابة هذا الخطب اضعت صوابي حتى أكاد لاستغرب روءية صديقي المفقود حيًا مع سائر الركاب وقد نزل ليسلم عليَّ ويحادثني

لو اتاني يومًا صديق يقولُ　قم فان السفينة الآن بانت
فهبطتُ المرفا وقلبي ثقيلُ　واليها دنوتُ حين تدانت

***

ورأيت الركّابَ تخرج حالاً　بسرورٍ الى حمى الاوطانِ
كلهم من سرورهِ يتلالا　وجهُهُ عند روءية الخلّانِ

***

وكذا خليَ الحبيب تقدّمْ　مشرقًا في سنائهِ الروحاني
مدّ كفَّ الولا اليَّ وسلّمْ　وعن الاهل سائلاً وافاني

***

فتناولتُ كفَّهُ وهو واقفْ　وعليهِ قصصتُ اسباب همّي
فاثار الحديثُ فيهِ العواطفْ　وبدت دهشةٌ عليهِ لغمّي

***

لو اراهُ يفيضُ منهُ الشبابُ　ليس فيهِ تحوّلٌ في حالِ (1)
ما عراني لذلك استغرابُ　لضياع النهى بوادي الخيالِ

---

(1) اي كسالف عهدي به لا اثر الموت فيه

الدور الخامس عشر

العواصف تهبّ في هذا المساء والبحر يضطرب ولولا خوفي على المركب الذي يقلّ جثمان الحبيب لرأيت في هذه العواصف ما يوافق هيجان عواطفي الثائرة .

هبّت الريحُ ذا المساء وثارتْ ببقايا الاوراق فوق الغصونِ
وطيور السما مع الريح طارتْ في نواحي الفضاء بعد السكونِ

٭٭٭

والمواشي تلازمت باضطرابِ وأديم المياه خوفاً تجعَّدْ
وتعالى صوت اهتزاز الغابِ وحسام النهار في الغرب يُغمدْ.[1]

٭٭٭

غيران الخيال كان يريني انهُ سائر بدون اضطرابِ
فيخفّ الروع الذي يعروني من هزيم الرياح وسط الغابِ

٭٭٭

بل لعمري لو كنت اعلم حقّاً انهُ في سكينةٍ وسلامِ
لحلتْ لي الانواء والدّجن يرقى في رحاب الفضاء كالآكامِ

٭٭٭

يتعالى الى عنان السماء ثم يبدو في الغرب اذ ينهارُ[2]
مثل حصنٍ عالٍ جليل البناء في حواشيه ضاء في الجو نارُ

(١) حسام النهار اي ضوء الشمس (٢) اي لولا خوفي عليه لراق لي اضطراب النوء لانهُ يوافق اضطراب نفسي

الدور السادس عشر

هنا يقف الشاعر ويسائل نفسه قائلاً . ما معنى هذا التباين في عواطفي تارة هدوء وطوراً اضطراب ؟ أفهذا انقلاب حقيقيٌ في اعماق نفسي ام هو خارجيٌ لا يصل الى الاعماق ؟

أيُّ معنى لهذه الاقوالِ   أبصدري نوءٌ وفيهِ سكونُ
ام هو الحزن لا يقرُّ بحالِ   فهدوءٌ طوراً وطوراً جنونُ

* * *

بل ارى الحزن مثل ماء البحارِ   سطحهُ قد يهيج بالامواجِ
انما الماء في عميق القرارِ   ساكن الحال رغم كل هياجِ

* * *

ان حزني لقد اضاع صوابي   واراني ما لا يرى عقلُ صاحِ
فانا مثل قارب في العبابِ   لاطمتهُ زوابع الارياحِ

* * *

لم يزلْ تائهاً الى ان تكسَّرْ   بين لجِّ الامواج فوق الصخورِ
تلك حالي ومهجتي تتفطَّرْ   وانا بالاسى فقدت شعوري

* * *

تائه العقل قد تضعضع حسّي   شارد الفكرِ لا ارى لي سبيلا
مُزِج الوهم والصحيح بنفسي   في ضلالي وقد فقدت الدليلا

الدور السابع عشر

يرجع الى مخاطبة المركب ويسأل له الخير والبركات لنقلهِ جثمان الحبيب الى بلادهِ .

أيها المركبُ الذي جاء يحملْ جسمهُ والنسيم يملأ الشراعا
وصلاني كالريح تزجوك أقبلْ[1] نحونا بالرجع واجرِ سراعا

***

انا بالروح قد رأيتك تجري كم بحارٍ كانت امامك تُطوى
اقبل الآن فوق متن البحرِ فعليك الذي نحبُّ ونهوى

***

اينما كنت في المحيط العظيمِ فسلامٌ مني ينير ظلامَك
ساطع النور في الظلام البهيمِ يتلالا فوق المياه امامَك

***

واذا هبت الرياح السواري فلتكنْ انت سائرًا بامانِ
يحملُ الغيثُ من صدور الدراري[2] لك خيرًا على كرور الزمانِ

***

انت تأتي باقدس الآثارِ برفات الحبيب خير الرفاتِ
ببقايا مَن بعد هجر الدارِ[3] لن اراهُ حتى تزول حياتي

(١) تزجوك تدفعك (٢) يحمل المطر بركات السماء اليك (٣) اي مفارقتهِ الدار العاجلة

الدور الثامن عشر

يصل المركب الى الشاطئ، وتنقل جثة ارثر هلم الى اليابسة لتدفن في مدافن اهلهِ. وذلك يحمل الى قلب الشاعر شيئاً من العزاء ويجدد فيهِ عواطف المحبة والشوق لرؤية صديقهِ حتى يتمنى لو يستطيع ان يفديهُ بحياتهِ.

حسنٌ ان يكون قبر الحبيب   ههنا في بلاده بأمانِ
وعليهِ من الحيا المسكوبِ (١)   طالعات ازاهر الاوطانِ

٭ ٭ ٭

ههنا بين اهلهِ والصحابِ   في ربوع الصبا جميل منامهُ
بسلامٍ وراحةٍ في الترابِ   وسكون الردى تبيت عظامهُ

٭ ٭ ٭

فاحملوهُ الى ظلام القبورِ   وادفنوهُ في لحدهِ بسلامِ
وتعالوا نبكي بدمعٍ غزيرِ   ونصلّي على بقايا العظامِ

٭ ٭ ٭

آه لو استطيعُ ان افديهِ   بحياةٍ تكاد تطفأُ فيَّا
ولديهِ اجثو وانفخ فيهِ   نسماتي فما حياتي شيَّا

٭ ٭ ٭

ما حياتي الا شقاً ومرارهُ   غير ان الشقا يقوّي فؤادي
فسأحيي في مهجتي تذكارهُ   لحظات الولا وصوت الودادِ (٢)

---

(١) الحيا المسكوب اي المطر الهاطل

(٢) ما ابقي نظرات الولاء وصوت الوداد التي كنت اعرفها فيهِ تذكاراً له في فؤادي

الدور التاسع عشر

الشاعر الآن على القبر عند نهر السَّفَرْن (The Severn) قرب شاطئ البحر وهو يتأمل في حياة صديقه ويشبه الحزن في قلبه بالمدّ والجزر اللذين يتناوبان ماء النهر

من ضفاف الدانوب(١) قد حملوهُ جثةً طيّها فؤاد هامدْ
وبقرب الامواج قد دفنوهُ فوق شاطي البحر الجميل المشاهِدْ

* * *

عند نهر السَّفَرْنِ قربَ البحرِ حيث يعلو بالمَدّ في آجالِ
فيكمُ الحصا الذي في النهرِ ويسود السكون بين التلالِ

* * *

وكما يصمت الحصا في النهرِ حين يطغو عليهِ غمر المدِّ
هكذا يخبت الاسى في صدري وتجفُّ الدموع من فرط وجدي

* * *

واذا المدُّ صار جزرًا ضئيلا والى النهر عاد صوت الخريرِ
فكذا الحزن قد يخفُّ قليلا فتراني استطيع بثَّ شعوري(٢)

---

(١) اشارة الى النمسا ٢) اي ان صوت الحصا يخفّ عندما يملأ الوادي ماء

(٢) ان الحزن متى ملأ الفؤاد لا يسمع له صوت فاذا خفّ قليلاً استطاع صاحبه ان يبث عواطفه شاكيًا او باكيًا

الدور العشرون

ان الحزن الظاهر اشبه بحزن العبيد على سيدهم واما الحزن العميق الصامت فكحزن الابناء على والدهم العزيز.

ابن حزني الذي يُرى في نشيدي وكلامي من حزنيَ المكنونِ
هو عبد يرثي رثاء العبيدِ سيدًا قد عداهُ عادي المنونِ

* * *

يظهر العبد حبَّهُ وأساهُ ببكاءٍ ورنةٍ وعويلِ
خاشيًا بعد فقدهِ مولاهُ انهُ لايرى لهُ من مثيلِ

* * *

فهو يبكي خوفًا وهذا العويلُ خارجيٌّ بقوى العزاء عليهِ
انما ثَمَّ ادمعٌ لا تسيلُ ثَمَّ حزنٌ لا شيء يدنو اليهِ

* * *

حزن اولادهِ اليتامى فها ثَمْ في خشوع الاسى العميق سكوتُ
ليس صوتٌ لندبهم وبكاهُمْ بل نكاد الانفاسُ منهم تموتُ

* * *

لا رنينٌ ولا اصطخابُ نحيبِ غير ان الاحزان تملأ القلوبا
كلما شاهدوا مكان الحبيبِ خاليًا اوقد المصابُ لهيبا

الدور الحادي والعشرون

يلومهُ الناس على بكائهِ واحزانهِ . ويرمونهُ بحب الظهور والشهرة او بالضعف عن مجاراة روح العصر التي تطلب الجدّ والعمل . على انهم لو شعروا شعورهُ ولو عرفوا مقـدار حزنهِ لما لاموهُ او عنفوهُ .

فوق قبر الحبيب انشد شعري ولديهِ اشدو مع الاطيارِ
ومن العشب فوق ذاك القبرِ اصنع الآن بالاسى قيثاري

* * *

ربَّ يومٍ يمرُّ فيهِ مسافر فيراني ويسمع الالحانا
فينادي من ذا الذي في المقابر ببكاهُ يذيب حزنًا حشانا

* * *

فيقول امروٌ دعوهُ وشأنهْ إنهُ بالاسى يرومُ الظهورا
ان تروهُ مرجعًا الحانهْ فليغدو بين الملا مذكورا

* * *

ويقولُ امروٌ أذا وقتُ ندبٍ وبكاءٍ وما ترى للنادب
وازدحام الرجال من كل حدبٍ في ازديادٍ على رفيع المناصِبْ

وضياء العلوم يجلو الظلاما　　ويرينا خوافي العالمينا
أفننقضي بحزننا الأيّاما　　وسبيلُ الفلاح للمُقدمينا

* * *

ايها العاذلون دون اختبارِ　　ما عرفتم اسرار ذي العبرات
انهُ الطبعُ منشدًا اشعاري　　فانا كالحمائم الشادياتِ (١)

* * *

حين تشدو ببهجةٍ وسرورِ　　ان تشاهد فراخها في الفضاء
و تغنّي غناء قلبٍ كسيرِ　　ان تمسّ الفراخ ايدي الفضاء

(١) في الاصل Linnets لا الحمام

الدور الثاني والعشرون

يذكر الآن عهد الصداقة التي ربطتهما في الجامعة والسنوات الاربع التي قضياها معاً هناك ثم انقضاض الموت على رفيقهِ وفراقهما الابدي الاليم .

كان حلوًا سبيلنا في الحياةِ　　اذ جرينا نطوي الحياة رحابا
اربع من زواهر السنواتِ　　مفعمات بما يسرُّ الشبابا[١]

* * *

فمشينا يهدي خطانا الحبورُ　　كلُّ يومٍ يفيض بالبركاتِ
من ربيعٍ الى ربيعٍ نسيرُ　　لا نبالي عواديَ الحادثاتِ

* * *

ثم امست بنا الطريق تميلُ　　بانحدار في خامس الاعوامِ
وعليهِ انقضَّ القضاء الوبيلُ　　ودهانا بخيبة الاحلامِ[٢]

* * *

ملك الموت يا حبيبي رماكا　　بسهام اصمت صميم الفؤادِ
فطوى في التراب نشرَ صباكا　　وسقانا صاب النوى والبعادِ

* * *

حمل الروح نحو اوج العلاء　　حيث لا يستطيع مثلي طلوعا
غير اني ارى رسول القضاء　　والردى مقبلا اليَّ سريعا[٣]

---

(١) من سنة ١٨٢٨ – ١٨٣٢　(٢) في هذا الدور والدور التالي تصرف قليل على انه ينطبق على نسخة روبنصن طبعة Cambridge　(٣) في الاصل وشبح الموت ينتظرني وانا مسرع اليهِ

الدور الثالث والعشرون

اني الآن امشي في وادي ظل الموت نحو الردى وما اشدّ الفرق بين هذه الطريق والطريق التي كنت اسير فيها قبلاً مع رفيقي الراحل طريق الشباب والآمال .

قد اراني في وسط اعماق حزني   وانفرادي اهيم كل هيامِ
تارةً صامتًا وطورًا اغنّي   مسرع الخطو نحو طيفِ الحِمامِ (١)

* * *

نحو طيف الردى الذي بيديهِ   للبرايا مفاتح الاسرار
بينَ ماضٍ مضى وآتٍ اليهِ   منتهى الامر حائرَ الافكار (٢)

* * *

ثمَّ ناديت كيف حالت سريعا   تلكمُ الاربعُ الزواهي النواضرْ
كيف حفَّ الشقاء تلك الربوعا   وعليها القى الخرابُ ستائر

* * *

كان نوري فيها وقد كنتُ نوره   فقضينا ايامنا بسلامِ
كلُّ فكرٍ منّي يعانق فكره   شغفًا قبل جريهِ في الكلامِ

* * *

بنعيم مرّت علينا الفصولُ   كلُّ شيءٍ فيها يقلُّ سرورا
في دِمانا كان الربيع يسيلُ   عاطرا يملأ الفؤاد حبورا

---

(١) في الاصل المسند الذي هو الفعل (اراني اهيم) يقع في العدد الثاني

(٢) كان الشاعر هنا يقف وقفة المتردد بين رغبته في ادراك الاسرار التي لا تدرك الا بالموت وبين التفاته الى الماضي وتأسفه على ايامه النضرة

كم شدونا معاً هناك هياما　　　حكمة الاقدمين للادواحِ
فاعادت غصونها الانغاما　　　من قياثير عالم الارواحِ (١)

الدور الرابع والعشرون

ولكن هل كانت حياتنا حقيقةً خالصة من كل شائبة وكدر؟ ام هي الحياة مهما كانت سعيدة فكالشمس تغشاها كلف تعكر وجهها قليلاً؟

أصحيح هذا . أكان صفاها (٢)　　　خالصاً من شوائب الارزاء
هوذا الشمس قد يشين سناها　　　كُلفٌ فوق وجهها الوضّاء

***

لو يدومُ النعيم فيها لنفسٍ　　　او يظلُّ الصفا قرين الانامِ
كانت الارض جنة الفردوسِ　　　ايُّ عيشٍ يصفو مع الايامِ؟

***

أفليس السرور يبدو جسيما　　　من خلال الاحزانِ للانسانِ
فيرى ماضيَ الحياة نعيما　　　ان يكُ اليومَ في دجى الاحزانِ

***

هكذا قد رأيت تلك العهودا　　　وانا الآن في مضيق العذابِ (٣)
هو عقل الانسان يكسو البعيدا　　　من سنا الذكر اجمل الاثوابِ

---

(١) الاصل وكم انشدنا حكمة اليونان القديمة (Argive) فرددت صداها الغابات بقياثير العالم الشعري الاعلى (Arcady)　(٢) هذا . اشارة الى الكلام السابق . وصفاها الضمير راجع الى حياة السرور التي قضاها مع رفيقه
(٣) في هذا البيت تصرّف ولكن البيت الثاني "هو عقل الانسان" الخ يأتي بالمعنى الاصلي تماماً

الدور الخامس والعشرون

هذه هي الحياة يراها الانسان سهلة جميلة اذا كان قلبه مفعماً بالحب والامال والا فكلها اشواك واهوال .

تلك كانت ايامنا السالفاتُ　　باسمات رغم الزمان سعودا
لم تنم عن اذاتنا النائباتُ　　فهي دوماً تعدُّ حملاً جديدا(١)

***

غير اني قضيتها بابتهاجِ　　بسرور حملت حمل الزمانِ
عارفاً أنَّهُ يزيد احتياجي　　لصديقي وذاك جلُّ الاماني

***

كيف اخشى الهموم والاهوالا　　وعلى الحبِّ قد جعلتُ اتكالي
هو عنيَ يخفِّف الاحمالا　　حاملاً نصفهنَّ رفقاً بحالي(٢)

---

(١) يريد الشاعر اننا كنا سعيدين لا لان الزمان لم يكن يأتينا بالنائبات فالزمان ابداً بعد الاحمال لاكتاف الناس ولكن لان المحبة كانت تخفف احمالنا وتنير طريقنا بل كنت افضل النوائب لانها تزيد حاجتي لرفيقي وبالتالي حبنا بعضنا لبعض　　(٢) حاملاً نصفهنَّ الخ هذا التعريب حرفي

الدور السادس والعشرون

لا شيء يقوّيني على احتمال مرارة الحياة غير رغبتي في اثبات صدق المحبة وحقيقة الوفاء فالموت لعمري افضل من حياة تبرد فيها العواطف وتموت المحبة .

لا يزال السبيل وعرًا امامي غير اني في ذا السبيل صبورُ
راغبًا ان أُري جميع الانام ان حبّي لن يعتريهِ فتورُ

***

أيرى اللهُ وهو ربٌّ بصيرٌ ولديهِ نهاية الاشياء
مثلُ سفرٍ تضيء فيهِ السطورُ واضحاتٍ في الظلمة الظلماء(١)

***

أيرى أنهُ اذا طال عمري يضعف الحبُّ او يقلُّ الوفاء
ثمَّ يمسي هذا الفؤاد بصدري باردًا لا تسيل فيهِ الدماء

***

فادنُ مني يا موت واذهب بنفسي لا تهبني ارى صباحًا منيرا
ادنُ مني واطوِ الحياة برمسي قبلما يفقد الفؤاد الشعورا

---

(١) اي ان الله يرى نهاية كل شيء بوضوح

الدور السابع والعشرون

قال الشاعر العربي راثيًا صديقه – يا ليت اني ما قنيتك صاحبًا كم قنية جلبت اسىً لفؤادي – وفي هذا الدور نجد الشاعر الغربي يخالف زميله العربي فيضع لنا نتيجة احزانه في فكرة جميلة جدًا وهي انه مهما كانت مرارة الاحزان فالمحبة افضل جدًا من الحياة السلبيّة التي لم تذق الحبّ في زمن من الازمان .

انا لا احسد الطيور الجميله في جميل الاقفاص طولَ الحياةِ
هي لا تعرف الحياة النبيله تحت ظلّ الاشجار في الغاباتِ

***

انا لا احسد الوحوش الضواري سارحاتٍ بلا نهىً او ضميرِ
يرفع[1] النفس عن حضيض العار ويربّي فيها شريف الشعورِ

***

وامرءًا[2] لم يمسّ حبٌ فؤادَه حاسبًا ذلك الحياةَ الهنيه
ذلك القلب آسنٌ ما السعاده في جمود العواطف القلبيّة

***

ذا شعوري ما فاضَ بالحزنِ صدري ذا اعتقادي مهما جرى وتولّى
حبٌ وافقدْ فذاك خير لعمري من حياة لا تعرف الحبَّ اصلاً[3]

---

(١) جملة يرفع نعت لضمير (٢) امرءًا مفعول احسد معطوف على الوحوش والطيور
(٣) الاصل الحرفي – ان تكون قد احببت وفقدت الحبيب افضل من ان لا تكون قد احببت اصلاً

نشيد الرجاء

خمسون دوراً

من الدور الثامن والعشرين الى السابع والسبعين

الدور الثامن والعشرون

المساء مساء عيد الميلاد الاول بعد موت ارثر هَلَم والشاعر واقف في الظلام يسمع اجراس العيد ويتذكر صديقه

من وراء الغمام بدرُ السماء   يتهادى في الليل والليل هادي
ولديهِ الاجراس وسط الفضاء   يتجاوبن ليلة الميلادِ

***

تتعالى حيناً وتهبط حينا   بين تلك القرى وتلك الدساكر
من قرى أربع تطنُّ طنينا   حاملات لسامعيها البشائر[1]

***

حاملاتٍ من السما البركاتِ   مع اصواتها الى الانامِ
بركاتٍ من بارىء الكائناتِ   وسروراً ورحمة مع سلامِ

***

(1) في الاصل اربعة اصوات من اربع قرى ترتفع حيناً وتهبط اخرى فكأنما اغلق باب بينها و بين السامع

من سباتي افقت والقلب دامي ليتني لم أُفق مدى الآبادِ
او دعاني الردى بهذا العامِ قبل سمعي اجراس ذا الميلادِ

***

انما اعتدت سمعها من قديمٍ فافرعوها في حالكِ الديجورِ [١]
هي ذكرى تهيج حَرَّ الكلومِ باسى مسَّهُ لطيف السرورِ

الدور التاسع والعشرون

كيف نحفظ عيد الميلاد بعدهُ . كيف نسرّ وقد غاب عنّا مصدر سرورنا . اننا اذا حفظنا العيد واذا ابقينا الزينة فما ذاك الا حفظاً للعادة التي ستزول في اوانها .

ما ترى العيدُ بعدهُ ما السرورُ ايُّ معنى لليلة الميلادِ
كلُّ قلب لذكرهِ مفطورُ مرتدٍ بالاسى ثياب الحدادِ

***

كيف نحييهِ بعدما غابَ عنّا مَن محيّاهُ يجعل الليل نورا
مَن سناهُ يفيض بشرًا فينا كل قلبٍ بهِ ويزهو حبورا

***

عادةٌ تلك من قديم الزمانِ عادةٌ فاضفروا لها اكليلا
وانصبوهُ في مدخل الايوانِ ما ضفرتم في العيد عشبا جميلا [٢]

***

(١) تعوّدت ان اسمع اجراس العيد منذ الصغر فهي الآن تهيج حزني ولكن منها ذكرى لطيفة تخفف الحزن
(٢) في الاصل كلما ضفرتم الاعشاب للزينة فاضفروا اكليلا للعادة والتقليد وضعوها في مدخل المنزل

احفظوها بنتَ الزمانِ القديمِ   لم يحن بعد موتها في الانامِ
سوف تمضي في آنها المحتومِ   وتوارى في لجة الايامِ (١)

الدور الثلاثون

هكذا يجتمعون في ليلة العيد الماطرة ليعيّدوا و يسرّوا كالعادة وبينا هم في اناشيدهم ورقصهم يرُّ شبح الحبيب في ذاكراتهم فيصمتون وتسيل مآقيهم لذكراهُ ثم يتولد فيهم شعور الايمان ان الحبيب لم يمت بل هو خالد في السماء فيشرق في قلوبهم نور الرجاء

اسودَ الوجه بالغيوم الهواطل   كان هذا المساء والطقس بارد
وبايدٍ تهتزُّ منها الانامل   قد ضفرنا الاعشاب حول المواقد

***

ونهضنا نلهي القلوب بلعبٍ   عادة العيد اذ يمرُّ علينا
اي قلبٍ يلهو بهِ ايُّ قلبٍ   وخيال الحبيب يرنو الينا

***

فصمتنا والريح كانت تثورُ   وسمعنا هبوبها في الظلامِ
ووقفنا كأنَّ علينا طيورُ   واقفات — ترنو بغير كلامِ

***

وذكرنا والذكر هاج العواطفْ   فبدأنا ننشدو على الرغم منا
ما شدونا مساء عيدٍ سالفْ   كان فيهِ الحبيب ينشد معنا (٢)

(١) اي لم يحن ان تبطل العادة بعد فاحفظوها على ان يوماً سيجيء وستزول بدورها
(٢) اي كنا ننشدو من الالحان ما شدوناه في عيد الميلاد السابق وكان الفقيد يومئذٍ معنا يشاركنا في الغناء

وصمتنا ايضاً فكان سكونُ	فأثار السكون دمع العيونِ
نائمٌ حِينًا فليس المنونُ	غير نوم حلوٍ لتلك الجفونِ

***

وجرى في النفوس هذا الشعورُ	وجرت من عيوننا العبراتُ
هو حيٌّ ما مسّهُ تغييرُ	انما الموت راحةٌ وسباتُ

***

هو حيٌّ ما مسّهُ تغييرُ	لا ولا القلب بالردى يتحوّل
انما النفس للخلود تصيرُ	من مكان الى مكانٍ تنقلُ

***

فعلينا يا ايُّها الصبح اشرقْ	واجلُ عنّا ظلام هذا المساء
خالقَ الكون — مع ضياء المشرقِ	للبرايا ارسل ضياء الرجاء

الدور الحادي والثلاثون

تتجه افكار الشاعر الى قصة لعازر الذي اقامه المسيح من الاموات بعد ان بقي اربعة ايام في القبر. ويتأمل كثيرًا من الاسئلة التي كان يود ان يسمع جوابها من لعازر.

مات لعازرٌ فهل سألوهُ   بعد ان عاد من ربوع الحِمامِ
أبشوقٍ الى الالى ندبوهُ   كان يصغي من قبرهِ في الظلامِ

***

يا اخي اين كنت هذا الزمانا   ليس ندري جوابهُ للشقيقه (١)
ليتهُ قد اجابها وحبانا   بحديثٍ عنهُ فيجلو الحقيقه

***

واتاهُ الجيران بعد القيامهْ   وهمُ يرفعون صوت المديحِ
هنأوا الاخت انهُ بالسلامه   عاد للبيت من ظلام الضريحِ

***

هوذا الميْت عاد للبيت حيًّا   بعد ان كان في التراب دفينا
عاد لكن لم يخبر الناس شيًّا   ربَّ امرٍ قد اصمت الراوينا (٢)

---

(١) يتخيل الشاعر ان مريم بحكم الطبيعة سألت اخاها هذا السؤال

(٢) يراد بالراوينا هنا البشيرين الذين رووا هذه الحادثة وفي الاصل بدل ربَّ امر او فأمرٌ

الدور الثاني والثلاثون

ان مريم شغلت عن الاسئلة التي يولدها الشك وضعف الايمان بما هو افضل من ذلك . شُغلت برجوع اخيها الى الحياة و بوجود سيدها الذي احياهُ فلم يعد في قلبها مكان لغير الحب والايمان .

كان ميتاً والان حيٌّ لديها ... والى جنبهِ امير الحياةِ
ذاك كل المنى ومن مقلتيها ... قد تلالا بالحبِّ نور الصلاةِ

***

لا تبالي الاسرار خلف الضريحِ ... انَّ بالحبِّ نفسها الآن ريّا
تنقل الطرف من محيّا المسيحِ ... لمحيّا الاخ الذي عاد حيّا

***

كل ريب مع المسرة زائلْ ... لا شكوكٌ تعيش طيَّ الفؤادِ
فبدمعٍ من مقلة الحبِّ هاطلْ ... صبتِ الطيبَ فوق رجل الفادي (١)

***

فسلامٌ على بني الايمانِ ... مَن بايمانهم يزيدون حبّا
طاهري النفس والنُهى والجنانِ ... هل سواهم من الناس يهنأُ قلبا

---

(١) اشارة الى غسلها قدمي المسيح بالطيب

الدور الثالث والثلاثون

ليحذر اتباع العقل والبرهان الذين يحسبون انفسهم قد ارتفعوا الى مستوى اعلى من مستوى أهل الايمان. ليحذروا من ان يزعزعوا في قلب كقلب مريم ذلك الايمان البسيط النقي. وليعلموا ان الشك لا يجديهم نفعاً وان البرهان العقلي لا يوصلهم الى الضالة المنشودة.

ايها المهتدي بنور اليقينِ   طالب الحقِّ في حمى البرهانِ
مستخفاً فروضَ اهل الدينِ   مُعرضاً عن ظواهر الايمانِ

***

أترى اختك التقيّة تجثو   بخشوع لربها في الصلاةِ
فحذاراً في قلبها ان تحثو   بعض شكٍّ تظنهُ بيّناتِ

***

ان ايمانها البسيط هُداها   وهو ادنى للخير والاحسانِ
فلنقدّس جسماً غدا في نُهاها   رَبَّ قُدسٍ في مظهرٍ انساني [1]

***

ايها المستنير بالبرهانِ   أترى العقل كافياً للانامِ
فحذاراً لقلّةِ الايمانِ   من عثورٍ في عالم الآثامِ

---

(١) في الاصل فنقدّس اللحم والدم اللذان نقرن بها حقيقة روحية اشارة الى تجسد المسيح

الدور الرابع والثلاثون

الشكوك التي يحذّر الشاعر الناس منها تغشي احيانًا فؤادهُ فيظهر ريبهُ في حقيقة الخلود ويقول اذا كانت الحياة صائرة الى الفناء فالموت اذن افضل من الحياة .

أَفهذي الحياة ظلٌّ قصيرُ وظلامٌ اذن قرار الوجودِ
كلُّ ما في الورا هباءٌ يطيرُ ورمادٌ فمالهُ من خلودِ !

***

وجمال الطبيعة الفنّانُ "وذُكاءٌ" وسائر الاجرامِ
صورة شُوِّشت بها الالوانُ رسمتها أَيدٍ بغير نظامِ (١)

***

اين ربّي اذن – فما هو ربُّ كيف اختارهُ الهًا لنفسي
انّ عيشي على فؤادي صعبُ حملهُ ان تكُ النهاية رمسي

***

ان يكن كلُّنا الى العدم صائرْ فافتح الآن ايها القبر فاكا
فاواري نفسي بهِ مثل طائرْ بين فكّي افعى يلاقي الهلاكا

---

(١) ذكاء اي الشمس . المعنى ونظام الكون صورة مشوّشة رسمتها مخيلة شاعر يكتب على غير هدى

الدور الخامس والثلاثون

ان صحّ زعم بعضهم ان الحياة تنتهي بالموت أفليست تحاول لنا بما تخبرهُ فيها من المحبة الحقيقية ؟ لو كانت الحياة ساعةً فقط لتفضلت ايها الحب ان اهتم بها لاجلك . ولكن ها اصوات الطبيعة حولي تشير الى طول الحياة فكيف يسوغ لنا ان نعدّ الحب امرًا زائلاً — ان الحب فينا دليل على حقيقة الخلود ولولا هذه الحقيقة لكان الحب فسادًا او شهوة قتالة .

إنْ يصح صائحٌ علامَ الرجاء　　أفليست حياتنا كالسَّرابِ
في دجى القبر تنتهي الاحياء　　ويموت الرجاء تحت الترابِ

***

أفليستْ برغم ذاك ارامها　　بكَ ياحبُّ لي تروقُ جمالا
ساعةً ان تكن . انا ارضاها　　غير اني ارى الدهور الطوالا[١]

***

في عجيج الامواج فوق الرمالِ　　ومجاري السهول والوديانِ
حاملاتٍ من خالدات الجبالِ　　طبقات الثرى لعصر ثاني[٢]

***

انما الحبُّ في الفؤاد يجيبُ　　ويل نفسي من هذه الانباء
ان صوت الدهر الطويل رهيبُ　　وشعوري بالموت يذوي سنائي[٣]

---

(١) هنا الاصل "ولكن يجب ان التفت وارى واسمع" ثم يذكر العدد التالي المتضمن معنى الدهر الطويل

(٢) طبقات الثرى لعصر ثاني يتخيل الشاعر هنا قوام قارات جديدة وعمران جديد في طوال الادهار

(٣) هنا الدور غامض المعنى قليلاً وفي الاصل ان الحبّ يجيب حسرة ان صوت الدهر العظيم يوزّع عليّ فيذهب بجلادتي وشعوري اني سأموت يكاد يفنيني

ما لهذي الاوهام تبغي سبيلا لفؤادي وما بهنَّ هداية
(ان في الحبِّ للنفوس دليلا ان موت الانسان ليس النهاية)(١)

***

جَرِّد الحبَّ عن خلود النفسِ يصبح الحبُّ شهوةً لا ودادا
مثل وحشٍ في الغاب يغدو ويُمسي آكلاً شاربًا يعيثُ فسادا

الدور السادس والثلاثون

ان حكمة الله البسيطة او مبادىء الحياة الروحية السامية يفهمها جميع الناس وهي التي تنير العقول وترشد الانام

هوذا العقل قد يُرينا الحقائقَ وعليها ستائر الإبهامِ(٢)
فتعالى من قد انار الخلائقَ موضحًا حقَّهُ لكلِّ الأنامِ

***

حكمة الله لا تراها العقولُ دونها قصَّرت جيادُ العلومِ
حيث جلَّتْ فما لعلمٍ سبيلُ وهي ضاءت للناس منذ القديمِ

***

(١) البيت الثاني من هذا الدور لا يعتبر تعريبًا حقيقيًا للبيت الاصلي اذ الاصل لو كان الموت موتًا حقيقيًا (فناء) لما كان الحب. او لكان امرًا حقيرًا ثم يذكر الدور التالي وقد زدت هذا المعنى اتكالاً على شرح Chapmar ص ١٨ على انه يمكن تعريب هذا البيت حرفيًا بقولنا

ان يكُ الموتُ للفناء سبيلا لم يكُ الحبُّ في الحقيقة حبا

(٢) هنا تصرّف قليل اذ الاصل ان الحقائق وان تكن على شيء من الابهام فهي موجودة في عقل الرجل المدرك فتبارك من انارها بنوره وجعل الجميع يفهمونها

فغدا الله بيننا منظورا   وارانا الشريعـــةَ الابديَّة
بحياةٍ للناس كانت نورا   تتجلّى في خدمةِ البشريَّة(١)

***

حكمةٌ للجميع كلٌّ يراها   حارث الارض صائدُ الاسماكِ
لاحظٌ الانام ضاء سناها(٢)   (فتحاشوا بها سبيل الهلاكِ)

الدور السابع والثلاثون

ولكن أنى للشاعر ان يتناول الحكمة العلوية ويبسط اسرارها وهو ارضيٌّ لا يدرك ما وراء الطبيعة ؟ فليترك اسرار السماء لاورابنا الهة الشعر السماوي . اجل ! ولكن الحبيب الفقيد كان مولعاً بمثل هذه الاحاديث العلوية ولذلك يتقدم الشاعر الى اورابنا معتذراً عن تطاولهِ الى ما ليس له من عميق الاسرار والغوامض .

بي َصاحت "اورابنا"(٣) في العلاء   شاعرَ الارض قد تجاوزتَ حدكْ
خلِّ وحيَ السما لاهل السماء   واشغل الشعر بالذي هوَ عندكْ

***

إنَّك ابن الثرى فبين الوهادِ   قِفْ وأَنشدْ غرائبَ الاشعارِ
لزهور الرُّبى وماء الوادي   ونسيم الرياض والاشجـــارِ

***

(١) اشارة الى المسيح وحياته بين الناس   (٢) يراد بها هنا لابسط الناس واقلهم فهماً وتهذيباً
(٣) اورابنا هي آلهة الشعر السماوية

فاجابتها ربة الارض عني[1]   وعلى خدها الحياء تورّدْ
لست ابغي سرّ السماء فاني   بقصوري في حلبةِ الوحيِ اشهدْ

***

فانا قد وُجدتُ كي اتغنّى   بنشيدي للارضِ والانسانِ
أُنشد الحبّ للمحبّ المُعنّى   وسلامًا لكلِّ قلبٍ عانِ

***

غير اني ذكرتُ ذاك الحبيبا   وهواهُ في مثل ذي الاقوالِ
قلت اشدو له فليس غريبا   ان يرى في النشيد بعض الجمالِ

***

إنْ تريني خطوت فوق حدودي   وتناولتُ غامض الاسرارِ
فلأنّي طمعتُ انْ نشيدي   لحبيبي يحلو وهذا اعتذاري

(١) ملبونيا هي آلهة الشعر الارضية او الطبيعية وهي تمثل دور الشاعر في هذه المحاورة

الدور الثامن والثلاثون

عاد الربيع واخذت الطبيعة تفترّ عن جمالها ومع ذلك اراني اعود الى احزاني وشكوكي ولا تعزية لي الا ان صديقي قد يسمع اناشيدي ويُسرّ بها.

مُثقل الخطو عدت اطوي السبيلا وانا مُتعبٌ وقلبي عليلُ
وعليَّ الظلامُ ارخى سدولا وتولّى الرجاء فيَّ افولُ

***

بسمَ الزهرُ في الربيع الجديدِ وفؤادي ما زال بالحزن عاني
بيد أني ارى خلال نشيدي بارقًا قد ينير في احزاني

***

إنْ تظلَّ الارواحُ تذكر شيًا من حياة الورى وتصبو اليهِ
(فحبيبي اذن سيصبو اليًا) ونشيدي يروق في اذنيهِ

الدور التاسع والثلاثون

يعود الى قبر صديقه في الربيع فيشاهد هناك الشجرة التي مرّ معنا ذكرها والتي قد كان حسدها على ثباتها في كآبتها ويرى فيها الآن دلائل الحياة الجديدة. على ان الحزن الذي يملأ النفس شكًا وظلامًا لا يزال يهمس في اذنيه (كما همس قبلاً) ان حماتها ستعود حمامًا وان نورها سيذهب ظلامًا.

أيها الدَّوحةُ التي اقامتْ   فوق قبر الحبيب تحمي العظاما
ورموز الحياة منها ترامتْ   عند مسّ الاغصانَ ابغي السلاما[1]

***

ها انا ناظرٌ فيكِ روحا   وبهاءً ونضرةً في الغصونِ
وارى الوجه منكِ صار صبوحا   بعد ان كان كالحًا كالمنونِ

***

انما الحزنُ اسود النظراتِ   عينهُ للحِمام ترنو دواما
كل شيء — يُسرّ لي[2] — للمماتِ   وسيُمسي هذا الضياء ظلاما

---

(١) رموز الحياة يقصد بها في الاصل اللقاح الذي تطاير من الاغصان. السلاما — زائدة كان يمكن الاستغناء بقولنا عند مزّي لها

(٢) يسر لي يراد بها يهمس في اذني والبيت هو مقول الحزن وان خلا في الاصل من علامات الحكاية

الدور الاربعون

قد يجوز لنا ان نحسب فراقنا عند الموت كفراق عروس لبيت ابيها ودخولها الى بيت جديد . ولكن العروس قد ترجع او على الاقل لا تنقطع اخبارها عن بيتها القديم اما النفس فمتى دخلت عالم الروح انقطعت اخبارها واصبحت حيث لا يدري العقل شيئاً .

أفتنني الردى وهول الرموسِ وترى النفس اذ تروم سماها
كعروسٍ تزيّنت لعريسٍ واستعدّت لهجر بيت صباها

***

وقفت للوداع والقلب خافقْ بين حلو الرجا ومرّ الفراقِ
وقفت كي تمدّ كفّ المفارقْ وعلى خدّها تسيل المآقي

***

ابوها قد حرّكتهُ العواطفْ ومن الام سال دمع غزيرُ
ودّعت اهلها بقلبٍ آسفْ فالى بيتها الجديد تسيرُ

***

حيث تقضي حياتها لتربّي لبني الناس آتيَ الاجيالِ (١)
صلةَ الدهر بين قُطبٍ وقطبٍ بينها ورابطُ الآجالِ

(١) اي ان الزوجة التي ستصير اماً هي التي تجعل الدهر او البشرية فيه سلسلة متصلة

فيِ يديكِ الحياةُ فالقلب يهنا بكِ يا ايُّها الفتاة الكريمهْ
وثمارُ الخلود بالحبِّ تُجنى قوَّةُ اللهِ في حشاك مقيمهْ

***

هي تمضي—نعم—وكم من كتابِ بعدُ منها لهم يفيض سرورا
او اليهم تعود بعد الغيابِ بمحيًا يملأ الجميع حبورا[1]

***

بافتخارٍ على الذراعين تحملُ طفلها وهي تسرد الانباء
فيعمُّ السرور اهل المنزلُ بحديث يعطّر الارجاء

***

انما انت يا حبيبي بعيدُ هل لقاءٌ نرجوهُ بعد القبرِ
انا امشي ومسلكي ذا الوجودُ هوذا انت حيث لا عقل يدري

(١) العروس تمضي ولكن كم من رسالة تحمل الاخبار السارة منها او كم من زيارة تزور اهلها فترجع حاملة طفلها على ذراعيها وتقص على اهلها احاديثها المبهجة . انما انت بعيد حيث لا نسمع منك شيئاً ومن حيث لن تعود الينا

الدور والحادي الاربعون

كان وهو على الارض يتسامى نحو المعالي وكنا معًا يماشي الواحد الآخر ، ولكنه الآن في السماء قد اتخذ شكلاً جديدًا لا افهمه ان نفسي ملآى من الشكوك والهواجس فنحن قد لا نلتقي ونفسانا قد لا تمتزجان ثانية . فآهٍ لو ان الموت يحملني اليه لاعيش معه كما كنا هنا .

يخاطب صديقهُ

كنتَ قبلَ الحِمام بالروح تسمو   في مراقي العلى صعودًا صعودا
كلهيبٍ من مذبح الله يعلو   كلما زادهُ المصلِّي وقودا

***

في الاعالي اتخذتَ شكلاً جديدا   وانا لست افهم التبديلا
انزل الموت اذ دخلتَ اللحودا   بين عقلي وروح حِبِّي سدولا

***

آهِ لو كان ممكنًا لي العبورُ   من مكاني اليك في العلياء
مسرعًا في الفضاء روحي يطيرُ   مثل برقٍ الى الحبيب النائي

***

ان نفسي وان اكن لا ابالي   ريب الموت او ظلام اللحودِ
وسكونًا بين الربوع الخوالي   وانتقال الارواح من ذا الوجودِ

غشيتنا عند المساء الهواجس   وشكوكٌ شوائكٌ في الطريقِ
فارتني الشكوك امُّ الوساوس   انك الدهرَ لن تكون رفيقي

***

وانا سائر وخطوي ثقيلُ   تابع ما خططت لي من مثالِ
انما بيننا مجال طويلُ   واختلافٌ يُقصيك عن امثالي

الدور الثاني والاربعون

ولكن هذا الاختلاف بيننا كان وهو لم يزل حتماً . فهو ابداً السابق والمرشد وسيبقى كذلك لي . ان اشهى شيء للقلب ان يجلي محبة تنير سبيلهُ وتهديهِ في هذا الوجود .

يا فؤادي كفاك همّاً وحزنا   فمتى كنتَ للحبيب قرينا
معهُ قد جريت حينا لانّا   جمعتنا الاقدار بالحبِّ حينا

***

ولعلّي ابقى كذاك دواما   مع ذاك الروح العظيم لعلّي
كان نوري ولم يزل لي إماما   بهداه يسمو ضميري وعقلي

***

هل ترى للفؤاد اشهى واسمى   من ودادٍ يملا الحياة حبورا
بحبيبٍ اجلَّ قدرا وعلما   فيكون الوداد للقلب نورا؟

الدور الثالث والاربعون

اذا لم يكن الموت الا رقادًا فان الانسان سوف لا ينسى شيئًا حينما يستيقظ في الخلود وكذلك صديقي فانه سيذكر كل شيء.

ان يكُ الموتُ ضجعةً في القبورِ او رقادًا يطيب بعد العناء
ونفوس الورى كبعض الزهورِ حين تغفو في حالك الظلماء

***

لا شعورٌ لها وما من حسٍ حين يسطو الرقادُ — او عرفانِ
غير ذكرى خفيَّة في النفسِ هي فيها بقيَّة الوجدانِ

***

فالردى ليس يسلب المرء شيئًا وهو في جنَّة الخلود مقيمُ
حيث يبقى في نفسهِ الذكر حيًّا وصِلات الحياة فيها تدومُ

***

وكذا حبُّهُ سيبقى قويًّا مثلما كان إنَّهُ لوثيقُ(١)
ان يكُ الآن في الكرى مطويًّا فمع النفس اذ تفيق يفيقُ

---

(١) حبه اي حب صديقه

الدور الرابع والاربعون

ولكن اذا كانت روح الانسان لا ترقد او تغفو بالموت بل تبقى حيّة في السماء تتفكر وتشعر فعسى اذا مرّ بخاطر صديقهِ خاطر من الحياة الدنيا ان يكون ذلك الخاطر رسالة محبّة مني اليهِ .

كيف روح الانسان هل يعتريها مثلهُ حين يهرم النسيانُ
في مطاوي الازمان اذ يطويها تتلاشى الاحداث والازمانُ

***

تتلاشى ايامهُ والعهودُ وتناسى العقول ماضي السنينا
غير ان الماضي اليها يعودُ لامعاً كالبروق بومض حينا

***

فاذا كنت بين اهل السماء ومع الموت لم يمت لك فكرُ
فتذكّرتَ رابطاتِ الولاء وكبرقٍ عليك ضاء الذكرُ

***

فأدِرْ نحويَ المحيّا الوسيما وانزع الشكّ وادنُ بالفكر منيّ
انّ لي في العلى ملاكاً كريما هو يُنبيك كلّ شيء عنّي

---

(١) و (٢) اي ان حوادث الزمان تذهب من عقل الانسان مع كرور الايام
(٣) الوسيم زائدة عن الاصل

الدور الخامس والاربعون

ألا ان هذه الحياة الحاضرة مقدّمة للحياة الاخرى هنا يبدأ نموّ الانسان ومعرفته بنفسهِ ويكملان في السماء . ولذلك فالنفس لا تنسى هذا الوجود ولا تضيع ذاتية الانسان في الخلود .

يولد الطفل جاهلاً لا يدري   بنُهاهُ معنى "أنا" في الوجودِ
عقلهُ فارغ فما من فكرٍ   فيهِ والنفس لم تزل في هجودِ

***

فاذا ما افاقَ بعد الهجودِ   ونما العقل — زاد علماً بنفسه [1]
أنهُ غير ما يُرى في الوجودِ   غير ما يهتدي اليهِ بحسِّه

***

هكذا ينشأُ الشعور وينمو   وكذا يصبح النُهى مستقلاً
عن سواهُ . فالعقل علمٌ وفهمُ   واختبارٌ في الجسم يصبح عقلا

***

انَّ هذي وظيفة الاجسادِ   ان تربيَّ "ذاتيَّةً" للنفوسِ [2]
سوف تبقى الى مدى الآبادِ   فالردى لا يُضيعها في النفوسِ

(١) افاق بعد الهجود اي بدأ يشعر ويحس   (٢) ان وظيفة الجسم ان تنمو فيهِ النفس مستقلة عن سواها وهذا الاستقلال يدوم بعد الموت

الدور السادس والاربعون

الدنيا متغيرة — فهو لذلك يطالب ان تبقى محبتهُ الى الابد حتى اذا التفتت روحهُ الى هذه الحياة تجدها كلها زاهية بالمحبة منيرة بالجمال والسعادة . لا الخمس السنوات فقط التي قضياها معاً

في الحياة الدنيا معاً قد مشينا بين شوكٍ قاسٍ وزهرٍ نضيرِ
كلَّ يوم ننسى بهِ ما طوينا من طريق الحياة بعد المسيرِ

***

تلك جال الدنيا وما في السماء ظلماتٌ تحولُ دون البصائرْ
كلُّ شيءٍ يجلى لعين الرائي ثمَّ لافرقَ بين ماضٍ وحاضرْ

***

ثمَّ تبدو سوالف الايامِ زاهياتٍ بالخير والبركاتِ (١)
بينها خمسة من الاعوامِ (٢) هنَّ ابهى اعوامنا الماضياتِ

***

آهِ يا حبُّ قد جعلت المجالا لكَ في الارض ضيِّق الاسوارِ
فعلينا من السماء تلالا وأزرنا الى مدى الادهارِ

---

(١) ثمَّ أي هناك في السماء (٢) خمسة من الاعوام اي الاعوام الخمسة التي قضياها معاً في الكلية

الدور السابع والاربعون

يرفض الراي القائل بتلاشي النفس باتحادها بنفس الخالق ويقول ان النفس تخلد مستقلة عن سواها. او فاقل ما تتطلب المحبة موقف في السماء تلتقي فيهِ ارواح المحبين قبل هذا التلاشي المزعوم

هل تُرى النفس في الالهِ تغيبُ   وقواها وما لها من فكرِ
باتحادٍ مع الالهِ تذوبُ   فيهِ ذوبًا كنقطةٍ في بحرِ

***

بئس هذي الآراء فهي مُضِلَّهْ   فسنحيا بعد الردى لن نغيبا
كلُّ نفسٍ عن غيرها مستقلَّهْ   فالاقي بعد الممات الحبيبا

***

أُنفق الدهرَ في نعيم قربَه   وسرورٍ ما بعدَهُ من مزيدِ
ليس شيءٌ يحلو لاهل المحبَّه   ما ورا القبر غيرَ هذا الخلودِ

***

او فادنى ما تبتغيهِ المحبَّه   لِهَنا الروح وهو للعُدم ماشي(١)
موقفٌ يعرف الحبيب محبَّهْ   قبل ان يغرقا ببحر التلاشي

(١) اي اذا لم يكن من خلود دائم فاقل ما تطالبهُ المحبة موقف بعد الموت تلتقي فيهِ ارواح المحبين قبل التلاشي

الدور الثامن والاربعون

لست ابغي في نشيدي هذا ان اتناول اسرار الآخرة او السماء فلبس الحزن سبيلاً للبيّنات والبراهين على اني امرّ بنشيدي بعضاً من هذه المسائل العالية مسّاً خارجياً لاقوّي محبّتي باخضاع الشكوك لها .

إنْ اكنْ ابتغي بهذا النشيدِ بحثَ ما قد طواهُ عنّا الظلامْ
من عميق الاسرار في ذا الوجودِ فحقيقٌ ان يزدريهِ الانامُ

***

ليس للحزن ان يدقّق علما في قضايا للبحث والبرهانِ
ان اجيءُ بالشكوك حينا فكيما يملك الحبُّ امرها في جناني (١)

***

انما الشكُّ والمباحث ملهى فيهِ تلهو الالفاظ لهوًا زهيدا
فحرامٌ عليَّ إن مسّ منها عمق نفسي يدٌ تروم نشيدا (٢)

***

ان حزني كطائر قد غرّدْ (واديهِ بحر الشكوك الكبيرُ) (٣)
بجناحيهِ مسّ سطحهُ وتزوّدْ بقليل الدموعِ وهو يطيرُ

---

(١) في الاصل ان اجيء بالشكوك في نشيدي فلكي اجمل الشك خاضعاً للمحبة

(٢) الاصل في هذا العدد – فكذلك نراه (اي الحزن) متسلياً بهذه المباحث حاسباً ان مس الاوتار العميقة هو اثم او عار

(٣) ليس في الاصل ذكر لبحر الشكوك ولكن وجه الشبه في العدد الاصلي يقتضيه

الدور التاسع والاربعون

لا يلمني احد ان رأى نفسي تتأثر بالمؤثرات الخارجية (من مختلف الفنون والعلوم او من الطبيعة) وتسر ان تتناول غير احزانها فان في داخلها – بعيداً عن المؤثرات الخارجية – معين دموعي في مجرى دائم لا ينقطع .

فمن الفنّ فليضيْ والطبيعه بارقاتٌ ومن قضايا العلومِ
كشعاعٍ وسط المياه الوديعه كسّرتهُ تجعّداتُ الاديمِ (١)

***

أضعفُ الفكر قد يموج قليلا وارقُّ الخيال يلعب حينا
الطفُ الشعر قد يهبُّ عليلا فوق سطح الاسى فيهمي غضونا (٢)

***

لا تلمْ ان رأيت وجهَ الماء بالنسيمات قد بدا يتعكّرْ
لا تلم ان رأيت بعض الضياء في فؤادي شعاعهُ يتكسرْ

***

ليس حزني تموُّجات النسيم ليس حزني ظواهر الافكارِ (٣)
ان هذي الغضونَ فوق الاديم تحتهنَّ الاسى عميق القرارِ

---

(١) يقصد الشاعر لا خوف ان اتأثر بمؤثرات النفس والعلم والطبيعة فهي كشعاع ينكسر ويتجعد في غمر احزاني

(٢) الترجمة هنا حرفية ويقصد بهذا المدد انه لا غرابة اذا بدت شكوك في نفسي فان اقلّ تموجات الفكر والخيال والشعر تحدث ذلك على اديم النفس

(٣) في الاصل تحت كل المخاوف والاماني التي تبدو تجد الحزن عميقاً وتجعدات الاديم قد حجبت قرارهُ العميق

الدور الخمسون

منعطفًا الى المعونة الروحية نرى الشاعر ينادي صديقة لمدنو منة فيعينة في ضعفو وشكوكو. في انتقال نفسو وهمومو ثم يأخذ بيده عند موتو و يقوده في سبيل الحياة الابدية.

كنْ قريبًا منّي اذا النورُ أظلمْ   ودمائي صارت ببطءٍ تسيلُ
وفؤادي وهى وعزمي تهدّمْ   واعتراني في النفس وهنٌ ثقيلُ

***

كنْ قريبًا مني اذا ما اعتراني   ما يُضلُّ النهى ويعمي القلوبا
اذ يثيرُ الغبارُ(١) حولي زماني   ولديَّ الحياة تمسي لهيبا

***

كنْ قريبًا منّي اذا الايمانُ   جفَّ في النفس واليقين تحوّلْ
وغدا كالذبابة(٢) الانسانُ   يَضَعُ البيض في الاوان ويرحلْ

***

كن قريبًا منّي اذا حان بيني   وانتهتْ هنا حياتي الشقيّهْ
حين يبدو في الأفق نورٌ لعيني   يتلالا من مطلع الابديّهْ

(١) قد يشار بالغبار الى اتفاق الوقت كأنّه هباء منثور او اضاعة الفرص التي تمرّ في الحياة
(٢) في الاصل كذباب آخر الربيع .

الدور الحادي والخمسون

ولكن أحقًا نحن نهوى رجوع الاموات الينا ؟ أما نخشى قربهم واطّلاعهم على سيئاتنا ؟ سؤال يتردد في نفس الشاعر وكأنهُ يقوى على خوفهِ فيقول . لكن حبيبي قريبًا مني على كل حال فانهُ ينظر الى ضعفي الآن بعين غير عين الانسان الضيّقة .

أَفنهوى أَنْ يرجعَ الامواتُ ليكونوا بقربنا في الحياةِ
أَفما في نفوسنا سيئّاتٌ نخشى كشفها لدى الاموات

***

أَترى إِن يَعُدْ اليّ حبيبي مَن رضاهُ حاولتُ في كل آنِ
يزدريني لِما يرى من عيوبي وهواهُ يخفّ حينَ براني

***

خَلِّ عنك الخوف الذي قد عَراكا انَّ فيهِ اساءَةً للقبرِ
حكمةُ الموت فاقتِ الادراكا وعيون الموتى ترى كل سرِّ

***

كنْ قريبًا مني على كل حالِ يا عليًا يرعى كرور الزمانِ[1]
يا بصيرا يرى بعين الاعالي ما تعالى عن اعين الانسانِ

---

(1) في الاصل انت ترقب الزمان بعين كعين الله لا كاعيننا فتولينا من السماح ما لا يوليناه الانسان عادة

الدور الثاني والخمسون

ولكن هل احبُّ صديقي الراحل كما يجب ان احبهُ . اليس ضعفي الانساني يحول دون المحبة الكاملة . نعم ولكن روح المحبة الصادقة تغفر الضعف الذي في النفس وتأمر الشاعر بالصبر فالزمان كفيل بتطهيره من الشوائب

آه اني مقصّر في غرامي فسجايا الحبيب اسنى مقاما
من كلامي . وما ترى في كلامي غير قشرٍ ؟ فما اللبابِ كلاما

***

فاجابت روح المحبة عطفا خفّف اللوم ولّ ذا الخوف ظهرا
انني لا أدين في الحب ضعفا لست أولي قلبًا كقلبك هجرا

***

ايُّ نفسٍ في الناس ترجو الكمالا ههنا فالكمال فوق الانامِ
كل مرءٍ مهما سما وتعالى لحقتهُ شوائب الآثامِ

***

فاذن لا تخفْ[1] لانك تحملْ ثقل الضعف . او لحبٍّ قاصرْ
كن صبورًا انَّ الزمان سيفصلْ صدف الحبِّ عن ثمين الجواهرْ

---

(١) في الاصل كخوف فتاة

الدور الثالث والخمسون

من بدري فلعلّ جهل الشباب وطيشة يؤدبان الى تقوية الرجولة وتنمية المبادىء الكبيرة ولكن حذار. ان فلسفة كهذه قد تضرُّ الشبان وتنتهي بنتيجة مشؤومة.

كم ابٍ في الورى وقورًا اراهُ   بجمال الشيب الجليل تردَّى
كان قبلاً بالطيش امضى صباهُ   فغدا الطيش بعد ذلك رُشدا

***

أفنرضى ذا القول للناس شرعا   ونرى في الإثام فرط اختبارِ
وننادي الفتى الى الجهل فاسعى   وتمتَّعْ بعيشة الاغرارِ

***

فلنحاذر في قولنا فلنحاذرْ   كيف نُلقي امثال هذا الكلامِ
ان فيهِ علَى الشباب مخاطرْ   وضلالاً لاكثر الانامِ

***

وحذارًا من ان يكون التمادي   في دياجير هذهِ الاقوالِ
يحجب النور عن عيون العبادِ   ويقود الورى بسبل الضلالِ

الدور الرابع والخمسون

لا شك ان نهاية الاشياء خير . فما في الارض شرّ الاّ و ينقلب خيراً . وما نحسبهُ نحن شرّاً انما هو خير مستور عن انظارنا – هذه سُنّة الطبيعة . الارتقاء نحو الكمال

بيد أني لقد اراني اليقينُ   أنّما الشرُّ صائرٌ للصلاحِ
كل شيءٍ بغايةٍ مقرونُ   هي خيرٌ وإن بدت كالطلاحِ

***

ليس شيءٌ من غير قصدٍ نراهُ   لاحياة تمضي سُدًى في الوجودِ
خالقُ الكونِ رتّبتْ يمناهُ   كلَّ شيءٍ لمقصدٍ محمودِ

***

أترى أحقر الهوامِ تبيدُ   ونزول الحياةُ منها سريعا
والى العنصر البسيط تعودُ ؟   فلتحيي بالموت منها جموعا[1]

***

نحنُ في الارض ليس ندرك شيئا   غير اني ارى بعين الخشوعِ
ما وراء الظلام في الافق ضوءًا   ووراء الشتاء زهو الربيعِ

***

ذا يقيني وما انا في الوجودِ   غير طفلٍ يبكي بداجي الظلامِ
لاشتياقٍ الى الضياء البعيدِ   وهو لا يستطيع نطق الكلامِ

(١) اي تموت لتحيا الكثير من جنسها

الدور الخامس والخمسون

الس رغبتنا في الخلود اقدس ما فينا من العواطف . ولكن الطبيعة تجري في سبيلها الابدي على غير ما نحبُّ ونتمنى . هي لا تهتم ببقاء الافراد . فالخلود عندها للنوع فقط . وهذه الحقيقة مخيفة تملأُ قلب الشاعر بالقنوط فيصرخ من جراء ذلك الى الله طالباً تقوية رجائهِ وايمانهِ .

رغبةُ المرء في دوام البقاء ما ورا القبرِ والحمام المخيفِ
قَبَسٌ من ضياء ربّ السماء ضاء في نفسه بشكلٍ لطيفِ

***

أَقَربٌ السماء باري الوجودِ في نزاع مع الطبيعة لازم[1]
فهي تبغي للنوع كلَّ الخلودِ ليس للفرد من وجود دائمْ

***

تُخرج البزر من بطون الزهورِ عشراتٍ من كل نوعٍ وشكلِ
ثم تقضي على جميع البزورِ ما عدا بعضها لحفظ النسلِ

***

سرُّ هذا البقا وهذا النزاعِ قد احاطت منهُ بنفسي الدياجي
فانا في الظلامِ والجهل ساعي والى الله في ضلاليَ لاجي

***

وبعجزي وجهل نفسي اليهِ انا دانٍ في الظلمة الظلماء
ملقياً بالرجاء حملي عليهِ طالباً منهُ ان يقوي رجائي

---

(١) هل الله والطبيعة مختلفان في كيفية الخلود هو يأمر بخلود الافراد وهي تفني الفرد لتبقي النوع

الدور السادس والخمسون

بل ان الطبيعة لا تضمن حتى خلود النوع . وان سنتها سنّة الفناء والتغيير . ذلكَ ما جعل الشاعر القانط من الطبيعة يلتجىء الى صديقهِ وينادي روحهُ لتأتي اليهِ وتساعدهُ في رؤْية الانوار المحجوبة عن الانظار .

أَوَ تهتمُّ في بقا الانواعِ ؟ لا اراها تهتمُّ حتى بذلكْ (١)
كم الوفِ بادت بحكم النزاعِ وغدا نوعها مع الدهر هالكْ

***

ها الينا تشيرُ وهي تنادي "انا أُحيي وبي فنا الاحياءْ
كل شيءٍ عندي رهين الفسادِ كل حيٍّ مصيرهُ للفناءْ"

***

أَفيفنى الانسان ايضاً ويمضي سيّدُ الخلق كالهبا المنثورِ
لبس بجديهِ فوق هذي الارضِ صلواتٌ حرّى لربٍّ قديرِ

***

أَفيفنى وعندهُ الايمانُ أَنَّ باري الوجودِ ربُّ المحبّهْ
لا لعمري . وإنْ تبدّى الزمانُ مثل وحشٍ دامي البراثن قربهْ

---

(١) تهتمّ اي الطبيعة

أَفيفنى الذي احبُّ وساعدْ غيرهُ راغبًا زوالَ الشرورِ
ولاجل الصلاح والحق جاهدْ ثمَّ يمسي مُحجَّرًا في الصخورِ (١)

***

لا خلودٌ لهُ وراء الحياةِ؟ ويحَ نفسي فسنَّة الاكوانِ
هي فوضى والوحش في الغاباتِ وايمْ ربي خيرٌ من الانسانِ

***

ايهِ ياروحهُ تعالَي اليَّ واملإي النفس بالرجاء الوطيدِ
انا اعمى والستر مُرخًى عليَّ وسيبقى عليَّ في ذا الوجودِ

---

(١) اي يمسي كبعض الحيوانات التي تحجر بين طبقات الصخر وتكون هذه نهايته

الدور السابع والخمسون

يودّع الشاعر قبر صديقهِ فيطلب من رفاقهِ ترك ذلك المكان وترك اناشيد الحزن اذ هي لا تكرّم الفقيد ولا تجدي المنشد شيئًا — ولكن ذكرى صديقهِ لا تبرح من نفسهِ فهو كيفما اتجه يسمع جرس الحزن ناعيًا صديقهُ اليهِ

قد كفى قد كفى فليس جميلا ان نغنّي لهُ غنا الاحزانِ
وهلمّوا نمضي فان العويلا هو شدو التراب في الانسانِ [1]

***

إي هلمّوا . قد راعكم قيثاري [2] ! آهِ لكنْ هنا اعزُّ حياتي
هو حيٌّ في افضل الآثارِ وانا راحل بلا حسناتِ [3]

***

غير أنّي ما زلتُ اسمع صوتا جرس الحزن ناعيًا خير نفسِ [4]
وسيبقى ذا الصوت في الاذن حتى يخنق السمع في ظلام الرمسِ

***

جرس الحزن يملأُ الاساعا ذاكرًا للانام اهل القبورِ
صارخًا في الفضا وداعًا وداعا وسلامًا الى انقضاء الدهورِ

---

(١) في الاصل هو غناء ارضي اي يختص بالالهة الارض (٢) قيثاري يقصد به هنا نغماتهِ الحزنة
(٣) في الاصل ازلك ورائي نصف حياتي وقولهُ افضل الآثار قد يراد بها كتاب الـ Remains الذي نشرهُ هلّم الكبير راجع Robinson 207 (٤) يريد صديقهُ

الدور الثامن والخمسون

بعواطف الحزن والقنوط ودعت قبر الحبيب وهممت ان اتركهُ واذا بيورانيا الهة الشعر السماوية قد اهابت بي تقول غير حسن ان تختم احزانك على هذا المنوال فقف قليلاً بعد علّك ترجع بما هو افضل فيكون وداعك اسمى من وداع اليأس وخيبة الآمال .

هكذا قد ودَّعت قبر الحبيبِ　　بكلام أثار يأس الصدورِ
كصدى موحش بليل رهيبِ　　في ظلام الكهوف بين القبورِ (١)

***

فغدا من سماعهِ كلّ قلبِ　　متعبًا مثقلاً بحمل الحياةِ
فهو بالموت كلَّ حينٍ ينبي　　انفسًا عن ظلامهِ لاهياتِ (٢)

***

فاهابت يورانيا بي تمهّلْ　　ليس يجدي الاصحابَ فرطُ التياعِ
فاصطبر بعد ههنا وتحمّلْ　　بوداع اجلَّ من ذا الوداعِ

---

(١) في الاصل كصدى نقط الماء بين سراديب المدافن　(٢) هو بالموت . الضمير يرجع الى كلام الشاعر في وداعهِ . والهاء في ظلامهِ ترجع الى الموت　(٣) الاصل الحرفي — فاجابت ربة الشعر لماذا تحزن رفاقك بدموع لا فائدة منها . امكث بعد قليلاً فسترحل بما هو اسمى واشرف

الدور التاسع والخمسون

أصحيح ان في الحزن شيئاً صالحاً ؟ ايمكن ان يكون غير كاهن الموت ؟ ان آلهة الشعر العليـا تطلب مني ملازمة الحزن لانال منهُ دروس الحياة الفضلى فسالازمهُ طوعاً لارادتها وسانشد للملا من ذلك الحاناً مبهجـة يسمعونها ولا يصدقون ان الحزن مصدرها .

أيها الحزن ما تروم وتهوى   أفنحيا في النفس طولَ الحياةِ
تلزم القلب والشعور وتبقى   لهما لازما مدى الاوقاتِ

***

أيها الحزنُ هل ملكتَ دمائي؟   فليكُ الملك دون ما استبدادِ (١)
كن رؤوفاً ذا بهجة ورواء   وتلطَّف ان كنتَ تبغي رشادي

***

فشعوري ما زال فيَّ سكينا   ثابتاً في الحشا على الآباد
غير اني الهو بقربك حينا   مثل لهوي بابن الهوى في فؤادي (٢)

***

احمل النور منك للعالمينا   ورجاء السنين والاحقاب
فيراك الورى ولا يعرفونا   أنك الحزن من وراء الحجابِ (٣)

---

(١) هل هنـا للاثبات . ومعنى هذا الدور اذا كنت قد ملكت حياتي فلا تثقل يدك عليَّ بل اعطني فرصة لاظهر ما يجب ان اظهرهُ مما وشدتني بهِ آلهة الشعر (٢) مثل لهوي الخ في الاصل مثل لهوي بابن المحبة اشارة الى ان الحزن ناتج عن محبتهِ لصديقهِ (٣) يراد بذلك وانشد للملا اناشيد الرجاء والنور وقلما يدري احد انها خارجة من عميق احزاني

الدور الستون

يشبه الشاعر حالهُ مع صديقهِ الآن بحال فتاة فقيرة احبّت فتى من النبلاء فصارت تُعذب من هواهُ وهو لاهٍ عنها بين عشرائهِ وخلانهِ فهو (اي صديق الشاعر) الآن في تلك الطبقة العليا من الوجود ولعلهُ لاهٍ عن صديقهِ الذي لا يزال على الارض يشعر بمرارة الحبّ و بالم الفراق .

تركتْ نفسهُ سبيل الحياةِ وعلتْ للسماء تبغي مُقاما
ان حبي لهُ كحبِّ فتاةٍ لنبيلٍ اجلّ منها مَقاما

***

بالهوى قلبها يزيد استعارا وهو لاهٍ عنها مع النبلاء
يضرم الحبُّ في حشاها النارا غيرةً (والفؤاد دون رجاء) [١]

***

ولديها تمسي الربوع ظلاما وترى البيت موحش الارجاء [٢]
مهجة بالحشا تذوب هياما وحياةٌ مقرونة بالشقاء

***

كلّ يوم تدمي الفؤاد جروحُ من سهامٍ تريشهنّ الصحابُ [٣]
في الليالي تبكي اسىً وتصيحُ كيف يُرجى منهُ لمثلي جوابُ ؟

---

(١) في الاصل غيرة من جميع من يلقاهُ

(٢) في الاصل يؤلمها الجيران الاغبياء بكلامهم

(٣) الربوع في الاصل القرية والمعنى واحد هنا

الدور الحادي والستون

ينظر الشاعر الى صديقهِ وهو مقيم في السماء يعاشر كبار العلماء والفلاسفة والشعراء كافلاطون ودانتي وشكسبير وسواهم ويشعر بصغرهِ امام هؤلاء ومع ذلك لا يزال مفتخرًا بحبهِ ويطلب لذلك ان يذكرهُ صديقهُ مؤكدًا له ان هؤلاء الكبار (يذكر منهم شكسبير في شعرهِ لان تنسون كان كثير الولع باناشيدهِ Sonnets) لا يحبونهُ اكثر من حب الشاعر له.

فاذا كنتَ في اعالي السماء   رافلاً ثَمَّ في سنيِّ البرودِ
وحواليك انفسُ العظماء   وكبار الرجال اهل الخلودِ

***

وانيّ ابردت طرفًا عطوفا   وبجَ نفسي فكم تراني ضئيلا
وحقيرًا وناقصاً وضعيفا   وانا في الظلام اسري ذليلا

***

أبردِ الطرفَ رغم ذلك عطفا   لربوع عرفتَ فيها الوجودا(1)
ايها الروح ما شكسبير اوفى   لك حبًا مني وابقى عهودا

(1) لربوع عرفت فيها الوجودا في الاصل الى الشاطىء البعيد حيث يكون رسمك الاول يعني بذلك الارض

الدور الثاني والستون

على انهُ اذا كان في ذكرك اياي ما يحول دون هنائك في السماء فانسني ولكن ذكرك ودادي الماضي كمن يبتسم ذاكرًا حبًّا له ايام الحداثة وهو الآن قد تعالى عنهُ في حبهِ الحقيقي الناضج .

إنْ يكنْ ذكرك الصديق الحميما　　شائنًا صفوَ عيشكَ الفردوسي (١)
فأمِتْ في حشاك حبي القديما　　واجعل الذكر في مطاوي الأمسِ

***

وليكن حبنا الذي كان قبلا　　كصغير احبَّ يومًا صغيرا
دونهُ . ثمَّ شبَّ يطلب مِثلا　　لهواهُ بين الانام كبيرا

***

فهو في عالم الغرام الجديدِ　　حيث ينسى الفؤادُ ماضي الغرامِ
ذاكرًا ما جرى لهُ من عهودِ　　بابتسام يطير كالاحلامِ (٢)

(١) في الاصل اذا كان الذكر يجعلك تضطرب وانت في السماء　(٢) ذا لاحلام غير موجودة في الاصل وانما ذكرت هنا للاطناب في معنى الطيران

الدور الثالث والستون

ولماذا يكون حبه لي عثرة في سبيل سعادتهِ العليا ؟ السنا نرأف بحيواناتنا ونحب بعضها حبًا جمًا وهذا الحب وهذه الرأفة لا يمنعاننا من التقدم في سبيل العلى .

ان حبي ورأفتي بجوادي   وهو مضنًى من الوجى والعناء
ولكلبي لطفي وعطف فؤادي   لم تعقني عن ارتقا العلياء

* * *

وانا فوق مُستوى الحيوانِ   مثلما انتَ فوقيَ الآن عالِ
وبعطفٍ عليهِ في كل آنٍ   شاعرٌ وهوَ ليس من امثالي

* * *

هكذا انتَ اذ تطلّ ودادا   ناظرًا من علٍ دموع جَناني
من سماء في مجدها تتهادى   راقيًا راقبًا اعالي الجِنانِ (1)

(1) المعنى الاصلي الحرفي — هكذا انت يجدر ان تنظر اليّ وانا في هذا المكان اندب وابكي وانت في العالم الاسمى تدور في افلاكك العليا

الدور الرابع والستون

يشبه الشاعر صديقه وهو في السماء برجل من النوابغ ولد في بيت قروي حقير الشان ثم أخذ بعزمه وعقله يرتقي حتى بلغ اعلى الدرجات ولكنه يعود حيناً بافكاره الى حياته الماضية فيتراءى له صورة رفيق قديم له لا يزال فلاحاً بسيطاً وكأنما يسمع الفلاح يسأل نفسه هل يذكرني رفيقي القديم ويذكر عهودنا السالفة ؟

هل ترى ما مضى لنا في الحياةِ   ما يراهُ امرؤٌ من النابغينا
بدأ العمرَ اسفل الدركاتِ   بين بعض القرى الحقيرة حينا

***

عبقريٌّ ذو همةٍ ومضاء   لا يبالي جور الزمانِ عليهِ(١)
يخطف السعد من حشا الارزاء   رغم نجمٍ بالنحس يُومي اليهِ

***

وبعزمٍ وحسن رأيٍ مُصيبِ   يتعالى الى سراةِ المعالي
بيديهِ تُمسي حياة الشعوبِ   وعروش الملوكِ والاقيال.

***

(١) في الاصل يدوس العقبات التي تعترضه بسبب اصله

مشرق النجم في سما العلياء ناعمًا فوق ارفع الدرجاتِ
مَرجعُ القوم ركن كل رجاء ومُنيل الرغائب الساميات

***

وتراهُ يومًا وفي مقلتيهِ لاح برق الماضي بنور شديد
فيرى ما مضى جميلاً لديهِ مثل حلمٍ يلوح عند الهجودِ [(١)]

***

وتُريهِ ذكرى ليالي صباهُ قرويًا بين المزارع واقفْ
كان قبلاً رفيقهُ واخاهُ (صادق الحبِّ والولا والعواطفْ)

***

ثمَّ يصغي الى الرفيق يقولُ وهو في الحقل بين سعيٍ وكدِّ
يحرث الارض كي نعيش البقولُ "أرفيقي القديم يذكر عهدي"؟

---

(١) في الاصل ويلتفت كانما هو في حلم او بحران فيشعر بجمال بعيد في التل وعذوبة خفية في المجرى يقصد بذلك مرابعه القديمة

الدور الخامس والستون

أليس لحبّنا وصداقتنا القديمة من تأثير في نفس صديقي وهو في السماء . اجل ان الحب لن يضيع ولن يزول وذلك يملأ نفسي سعادة ورجاء .

فاقض ما شئتَ ! ايُّها الروح إنَّ ال— حبَّ اسمى من ان يضيع ويفنى
ذا عزائي الذي يسكِّن روع ال— وهْم في النفس والفؤاد المعنَّى (١)

***

وبهذا ترى لسانيَ يشدو رغم ما بي من هول حزن عنيفِ
وبشدوي طير المسرة يعلو في فؤادي على جناحٍ لطيفِ

***

قد وُسِمنا باسم الصديقين حقًّا وسيبقى هواك نور حياتي
وودادي كذاك ياحِبُّ يبقى بك يسمو لاشرف الغاياتِ (٢)

(١) في الاصل فافعل بي ما انت فاعل اني قد ملكت اضطراب نفسي بقولي ان الحب لا يزول ولن تضيع منه ذرة واحدة

(٢) في الاصل وسيبقى تأثير حبك في نفسي وكذاك ذكري حتى في نفسك فيدفعك الى اشرف الغايات

الدور السادس والستون

اذا رأيتني اشارك الغير في لهوهم ومسرّتهم فليس لاني سلوت او نسيت ولكن لان الحزن قد جعلني اكثر شعوراً نحو غيري. فانا كأعمى قد ذهب النور من عينيهِ ولكن قلبهُ لا يزال مشرقاً بالنور.

أتظنُّ الفؤاد عنك تحوَّلْ   اذ تراني الهو مع اللاهينا
جاذلَ القلب مثلهم اتنقَّلْ   فرِحًا مع جماعة الفرِحينا

***

لا تخزني الذي ألمَّ بنفسي   مطفئًا بهجة الحياة الجميلهْ
قد ملاني حبًّا لابناء جنسي   وحنوًا وعاطفاتٍ نبيلهْ

***

فكأعمى انا حليف الظلامِ[1]   وهو راضٍ بحظِّهِ في الشقاء
بسرورٍ يعيش بين الانامِ   لاهيًا عن عذابهِ والعناء

***

فرحًا في الحياةِ والقلب ساكنْ   يتسلى بما تمسُّ يداهُ[2]
فاقد النور ليس يبصر لكنْ   قلبهُ دائم الشروق ضياهُ

(١) فكأعمى — هذا التشبيه في الاصل يبتدئ في آخر العدد السابق

(٢) في الاصل يتسلى باللعب بالخيطان او الكراسي او سواها

الدور السابع والستون

كلما رأيت القمر في القبة الزرقاء وانا مستلق على فراشي ذكرت قبر الحبيب وتلألؤه باشعة البدر الفضية ثم يهوى القمر فاغفو حتى تطالع الشمس فاذكر ايضاً ذلك القبر وارى رخامة كشبح يعلو مومضاً الى الفجر.

كلّما البدر لاح لي في الظلام ِ وانا في الفراش عند العشيّة
حملتني الافكار نحو رخام ِ(١) مشرقٍ بالاشعة الفضيّة

***

وخبوط اللُجين فوق القبرِ فائضات تبدو بنورٍ ساطعْ
فتريني وسط الدجى كل سطرِ نقشوهُ على الرخام الناصعْ

***

ثم يهوي البدر الجميل مُحيلا ما ورا الافق في قتام الهجر
وعليَّ الرقادُ يسطو قليلا حين اغفو الى طلوع الفجر

***

ثمّ يأتي الصباحُ والشمسُ تعلو فارى القبر(٢) في الضياء الجديدِ
مثل طيفٍ من مهجة الليل يبدو مومضاً للصباح بعد الهجودِ

(١) رخام القبر (٢) في الاصل ارى اللوحة الرخامية على القبر

الدور الثامن والستون

قد افتكر بالموتى واراهم في المنام ولكني لا استطيع ان ارى صديقي في الحلم ميتًا – في الحلم اراهُ كسابق عهدنا يوم كنا نرفل في برود الصداقة والمحبة على اني ارى على وجهه اثر الحزن الشديد فانّى له ذلك ؟ هو حزن فؤادي جعله الحلم منطبعًا على محياه .

حين اغفو فوق الفراش ويسطو   فوق جفني الكرى شقيق الحِمامِ
فمحيّاك يا حبيبي يبدو   لي حقًا . لا موتَ في الاحلامِ

***

وارانا نمشي كسالف عهدٍ   مرّ في اربُعٍ لنا خالياتِ
حين كنا والعيش صافي الوِرْدِ   ننقل الخطو في ضياء الحياةِ

***

وكأنّي ارى عليك اضطرابا   في المحيّا يبدو وفي عينيكا
وسقامًا يملا فؤادي عذابا   ما الذي اوصل السقامَ اليكا ؟

***

ثمّ اني أُفيق عند الفجرِ   فارى الامر واضحًا وجليًا
هو حزن الصبا المقيم بصدري   نقلتهُ الرؤيا لذاك المحيّا

الدور التاسع والستون

ورأى ليلةً حلمًا غريبًا . هوذا على رأسي تاج من الشوك القاسي فيمر بي الناس ويهزأون . ولكنّ ملاكًا كريمًا دنا مني ومس التاج الاليم الذي على رأسي فجعله مورقًا نديًا (ويراد بذلك ان هناك قوة سماوية تحوّل الحزن الى سرور وانتصار)

خلتُ في الحلمِ أنّ مجد الربيعِ زالَ حتى لم يبقَ بعدُ ربيعُ
واكتستْ حُلَّةً جميع الربوعِ من ظلامٍ ومن قتامٍ يروع

***

فتركتُ المدينة الصخّابهْ وقصدت الغاباتِ والاحراجا
ورأيت الاشواك تملا الغابَه ولرأسي ضفرتُ منهنّ تاجا[1]

***

فبدا الكلّ يهزأون بتاجي ويقولون قد اضاعَ نهاهُ
كيف يرضى الاشواك في الاحراجِ تاج فخر بهِ يباهي سواهُ

***

هم يقولون ان جهلي عظيمُ بل وعقلي كعقل طفلٍ صغيرِ
لا ابالي . فها ملاكٌ كريمُ باسمٌ لي في حالك الديجورِ

***

مسّ تاجي بلطفهِ وتبسّم فعلا شوكَهُ اخضرارٌ نديُّ
والّي اسرّ ما لم افهمْ غير أنّي شعرتُ أنّي هنيُّ

---

(١) المدينة الصخابة اي الكثيرة الاصوات

الدور السبعون

كيف يتهيأ لي وانا صاحٍ ان ارسم ما يتراءى لي من جمال وجه الحبيب في الاحلام . انما يتم ذلك في الحلم دون ان اتكلفه فيفيض الجمال على نفسي فيضاً وتتوالى الرؤى البديعة على خاطري من تلقاء انفسها .

كلما رمتُ وصف ما قد بدا لي   في الكرى من بها المحيّا الوسيمِ
غشيتني في رسم تلك الظلالِ   ظلماتٌ شوّشنَ حسنَ الرسومِ

***

فبعيني غرائب الاشكالِ   يتمازجن باقترانٍ عجيبِ
من بروج شيدت بتلك الاعالي   شامخاتٍ وكل رسمٍ غريبِ

***

وجموع تروح ثمّ وتغدو   بوجوهٍ قد مسّها تجعيدُ
والوف الاشباح في الافق تبدو   ظلّها لا يراهُ طرفٌ بعيدُ(١)

***

ثمّ اسلو(٢) وعند ذلك اسمع   نغماتٍ تلذُّ للآذانِ
وارى وجهك المحبّب يسطع   فيعمّ السلام قلبي العاني

(١) هذا العدد وما قبله يصفان الاشكال الغريبة التي يصوّرها الوهم عندما يحاول العقل ان يستحضر صوراً لا يدرك جمالها   (٢) يراد بالسلوّ هنا توقف الارادة او العقل عن استحضار تلك الرسوم وتركها تفيض فيضاً على النفس

الدور الحادي والسبعون

كان على أكثر الاحلام الماضية غشاوة تحول دون وضوحها فتتراءى فيها غرائب الاشباح اما الآن فقد ارتني الاحلام بوضوح وجلاء ربوعاً في فرنسا زرناها وقضينا فيها ردحاً من الزمن في انعم صفاء وحبور .

أيها النومُ يا شقيق الحِمامِ (١) بك أمسى الماضي كعهدٍ حاضرْ
فلنفسي أُعدتَ في الاحلامِ من فرنسا عهد السرور الغابرْ (٢).

***

أيها النومُ هاتِ إن كنت تقدرْ منك اقوى مخدّراتٍ لحسّي
فيتم السرور لي اذ تصوّرْ صوراً بالرؤى تروق لنفسي

***

صُوراً من ربوعنا السالفاتِ حين كنا في صفو عيشٍ نعيمِ
نتمشى ونذكر الماضيـاتِ من عهود مرّت كمرّ النسيمِ

***

نتمشى على الرُبى والوهادِ وعلى الرمل فوقَ شاطئ البحرِ
ونرى الحصن فوق انف الوادي ومياه الشلاّل تحت الجسرِ

---

(١) في الاصل يا شقيق الحمام والذهول والجنون ـ الحمام لان النائم يفقد حسه والذهول لان النفس فيه تنتقل الى عالم آخر والجنون لما يدخله من عوامل الوهم (٢) زار الشاعر مع صديقه فرنسا في طريقهما الى جبال البيرينه (٣) يراد بذلك حصن لوز في وادي كوترتز

الدور الثاني والسبعون

في صباح الخامس عشر من ايلول (وهو اليوم الذي مات فيه ارثر هلم) يقف الشاعر وقد مرّ عام كامل على وفاة صديقهِ متذكرًا ومخاطبًا ذلك الصباح الذي اقبل كثير الانواء والامطار

أكذا ياصباحُ تطلع غضبا — نَ تثير الانواء في الاقطارِ
عاصفًا في الفضاء تصخب صخبا اذ تفيض السماء بالامطارِ

***

ياصباحًا من شؤمهِ نجم سعدي خرّ يهوي الى مهاوي الظلامِ
عن ذُكاء نزعت ثوب المجدِ وكسوت الحياة ثوب السقامِ (١)

***

عابسًا جئت تحملُ الاشجانا وغمومًا من داجنات الغيومِ
اذ أملت الورود والاقحوانا تحت هطلٍ من الغيوثِ عميمِ

***

كن كما شئت ياصباحُ فسيا — نِ اثرت الرياح ام جئت هوْنا
يا ثقيلاً في كل حالٍ عليًا لا ارى فيك كيفما لحتَ حُسْنا

---

(١) في الاصل نجم سعدي مال الى المغيب . ذكاء اي الشمس . والحياة في الاصل الاحياء

(٢) مراد الشاعر بذلك انك ايها الصباح صباح شؤم ومرارة فسيان عندي هائجًا او لطيفًا

اسودَ اللون في محيًا ذميمٍ   انت تبدو ولو بابهى البرودِ(١)
فيك مذ القضاء كفتَ الاثيمِ   للذي كان خير ما في الوجودِ

***

فتجهمْ ما شئت واجمع جماحا   واغشَ بالنوء مجد نجم الصباحِ
واحمل الريح تلطم الادواحا   وتذري الهشيم فوقَ البطاحِ(٢)

***

وتقدّم تصول صول الغضوبِ(٣)   مُرعدًا مزبدًا كبير الدمارِ
سِرْ الى ان تكسوك ايدي الغروبِ   ما ورا الافقِ طيلسان العارِ

---

(١) هذا القطر تابع للعدد السابق بالمعنى اي انت ايها الصباح قبيح ولو ظهرت في افضل الاشكال
(٢) في الاصل تكسر الاغصان وتذري حزم القش او اكوار القمح وسواها
(٣) في الاصل وتقدم بزئيرك الشديد صاعدًا في مدارك نحو الماجرة

الدور الثالث والسبعون

تصف النشيد قصنًا وإدامة حياة ملأى من جليل الاعمال ولو عاش لنال صيتًا عظيمًا ومجدًا رفيعًا ولكن لا سبيل الى التبرم من ذلك فباطل الصيت لا يقاس بالقوة الروحية التي نالها بانتقاله الى الملإ الاعلى

تركَ الارضَ لم يتمَّ عليها   شوطةً من حياة فضلٍ نبيلهْ
قادرًا كان ان يبرزَ فيها   بكثيرٍ من المآتي الجليلهْ

***

خُسِفَ البدرُ قبلَ وقتِ اكتمالِ   واختفى المجدُ في ظلامِ الحمامِ
لا الومُ الردى لهذا الزوالِ   كل شيءٍ يسير حسب نظامِ

***

كلُّ شيءٍ الى زمانٍ ويمضي   وسبيلُ الحياة داجٍ اراهُ
ليس صيتٌ يدوم فوق الارضِ   قيمةُ المرءِ ما براهُ اللهُ

***

باطلَ الصيتِ زُل ويانفسُ دومي   وارتقي سلّمَ الخلودِ الرفيعه
واحفظي للعلى ودارِ النعيمِ   قوةً لم تُشَعْ في ذي الطبيعه

الدور الرابع والسبعون

لي في موتك عزاء انه كشف لي نسبتك الى عظماء الرجال كما يكشف احيانًا على وجه الميت شبهًا او مثالاً لبعض الانسباء والآل .

قد ترى العينُ في محيا الميتِ رسمَ وجهٍ من آلهِ الاقرباء
شبهًا لا نراهُ قبل الموتِ انما بعدهُ يُرى بجلاء

***

هكذا انت ياحبيبي تبينُ ليَ اذ انت راقدٌ بسلامِ
في محيّاكَ ضاء نورٌ مبينُ يشبه النور في محيا العظامِ

***

بل وفيه ما لا اراهُ بعيني وسيبقى المرئيُّ سرًا خفيًا[1]
فيك امسى الحِمام مَظهرَ حُسنٍ وظلامُ الضريح نورًا بهيًا

---

(١) في الاصل بل ومعناه ما لا استطيع ان تراهُ العين والذي يرى ساحفظهُ مكتومًا دون ان ابوح منهُ بحرف ويراد بذلك على راي Chapman ان لا فائدة من ذكرهِ ما دام صاحبهُ قد انتقل الى حيث لا كلام ولا حركة

الدور الخامس والسبعون

لست اقدر ان اظهر فضل الفقيد بما انظمهُ في وصفهِ من الشعر فسكوتي عند هذا الحدّ اولى للدلالة على عظمتهِ الحقيقية

لستُ بالشعر قادرًا ان اوفيهِ واجبًا من ثنا ومن اكرامِ
غير ان الحزن الذي ابديهِ قد يُري بعض فضلهِ للأنامِ

***

ابلغُ القول دقة وجمالا قاصر في البيان عن افضالهِ
اي وصف مهما سما وتعالى او لسانٍ يجيد شرح كمالهِ

***

أفأرضى بهذه الاشعارِ أنْ أُغنّيَ لهُ غناء قصيرا
اذ يُثير البراع بعض غبارِ من مديحٍ يُمسي هبًا منثورا

***

قد ذوى غصنك الرطيب نديًا قبل ان يُجتنى شهيُّ الثمارِ
وسيبقى الزمان عنك عميًّا عينهُ لا ترى سوى الآثارِ

***

فسكوتي أولى (وداجي اللحودِ أَسدلَ الآن فوق قدرك سترهْ)
انما انت في سماء الخلودِ حيثما يقدرونَ فضلك قدرَهْ
-

الدور السادس والسبعون

لا يزال الشاعر يتكلم عن الصيت والشهرة ولا سيما عن شهرته الشعرية فيقول باطل هذا الصيت وقصير عمر هذه الاشعار . نعم قد خلّد الزمان بعضاً من اشعار الاقدمين ولكن الشعر الحديث اي عمر له مع مرور الزمان . هي خمسون سنة فتذوى شهرتي الشعريّة ويهدم ذكري واشجار السنديان لا تزال في عنفوانها

خذ جناحَ الخيال واْصعدْ قليلا في الفضا بين انجم وسديمِ
كلُّ نجم للعين يبدو ضئيلا في سحيق الابعاد بين النجومِ

***

وتأمَّل مستقبلَ الادهارِ وكرور القرون إثرَ القرونِ
ايُّ عمرٍ لهذه الاشعارِ ان يقابل بطول عمر السنينِ

***

ولئِن خلَّد الزمانُ قليلا من قديم الاشعار او من اغاني
فنشيدي حياتُهُ لن تطولا ما لهُ عمر دوحة السنديانِ

***

بعد خمسين تهرم الاشعارُ وشبابُ الادواح في عنفوانِ
ويحَ نفسي اذ تهرم الاشجارُ اين يمسي شعري لدى الحدثانِ

الدور السابع والسبعون

نعم سيطوي الدهر شعري هذا في مطاوي النسيان وسينسى العالم نشائدي التي هي كبلسم لكلوم الاحزان . على ان ذلك لا يقعدني عن بث عواطفي وآلامي . فالشعر طبيعة في الشاعر لا يستطيع التخلص منها واني لاوثر ان انشد هذه النشائد نشائد الحب والآلام من ان انصرف لسواها لشهرة باطلة بين الانام[1]

ما يُرجّي للشعر في ذا الزمانِ شاعر قد رأى بعين الخيالِ
كلُّ شيءٍ هنا حقير الشانِ وزهيدًا امام حول الليالي

***

قد تراهُ امسى غلافا لسِفرِ (او وقودا اوراقهُ للحريق)
او لخودِ شريطةً للشعرِ (اوكسقط المتاع وسط الطريقِ)[2]

***

او اذا ما مضت طوال الدهورِ ربَّ مرءٍ يؤمُّ بعض المكاتبْ
فيرى ثَمَّ بعض هذي السطورِ حائلات وقد تنوسي الكاتبْ

***

لا ابالي مهما يكن فلحبيَّ ساغنيَّ من قلبيَ المقروحِ
فنشيد الاحزان اشهى لقلبي من نشيد للصيتِ او للمديحِ

(١) لم تصح نبوة الشاعر فقد قال مستر غلادستون الشهير ان شاعر العرش قد كتب اناشيدهُ على قلوب مواطنيهِ فهي خالدة لن تزول (٢) الضمير في تراهُ راجع الى الشعر والبيت في الاصل قد يصير هذا النشيد مع الزمان اوراقا تستعمل للتجليد او بطانة لبعض العلب او شريطا لشعر حسناء . و يرى منتقدو تنسون هذا الدور من مبتذل الشعر

نشيد السلام

لا نكاد نترك النشيد السابق (نشيد الرجاء) حتى نرى سورة الحزن قد خفت في قلب الشاعر وذلك لانه بعد ان مرّ في وادي العذاب والآلام وخرج من ظلمات اليأس التي استحوذت على نفسه أخذ ينظر الى الامام مهتديًا بنور الرجاء . ثم نرى الشاعر في هذا النشيد نشيد السلام يخطو خطوة الى الامام فينسى المه بما يراهُ من صور العظمة التي تتجلى في حياة صديقه

الدور الثامن والسبعون

عيد الميلاد الثاني. النهار هادئ ولبس هناك من امارة حزن لا لاننا سلونا بل لان الحزن قد تعمق اكثر في نفوسنا فصار لا يرى له اثر في الخارج

جاءنا العيدُ زائرًا من ثاني   فاقمنا له مجالي الزينه
غشي الثلجُ فيهِ كلَّ مكانٍ   وتولّى على الظلام السكينه

***

لم يكن فيهِ أَنّةٌ للنسيمِ   اذ تلالا الصقيع فوق الغصونِ[1]
بل شعورٌ بفقد روح كريمٍ   ملأَ الكلَّ بالاسى والسكونِ

***

حين قمنا باللَّعب نلهو حبورا   مثل جاري عاداتنا في العيدِ
فرقصنا ذاك المساء سرورا   وشربنا تذكار عيدٍ جديدِ

***

لم يكن من امارةٍ في محيًا   لأَسًى في الحشا وما من دموعٍ !
اين حزني اماتَ حزني فيا   وخبتْ نارُهُ وراء الضلوعِ

***

ماتَ حزني؟ كلاَّ . ولا هو خفّا   ولئن كان ليس يبدو جسيما
ان يكنْ دمعةٌ مع الدهر جفّا   فهو في الصدر لا يزال مقيما

(١) فوق شجرة اليول Yule التي كانوا يستعملونها وقودًا في العيد

الدور التاسع والسبعون

يخاطب اخاهُ شارل وكان يعتذر اليهِ عما يظهرهُ من المحبة الفائقة لصديقهِ النشيد مشيرًا الى قول لهُ سابق (في فؤادي فوق الاخاء هواهُ).

لا تلمني اخي لقولي هواهُ　　في فؤادي يفوق كل اخاء
لك في القلب منزل ما اعتلاهُ　　بعدُ الاَّك من بني الغبراء

***

نحن سيَّان هكذا الايامُ　　جبلتنا بوحدةٍ في المقاصدْ
فالربى والوهاد والاكامُ　　تنجلي لنـا بشكل واحدْ

***

وكذا النهرُ وهو عذبًا يسيلُ　　عاطف السير بين تلك التلالِ
وضيا البدر والهواء البليلُ　　اذ اتانا يروي حديث الجمالِ

***

قد جثونا معًا نقيم النذورا　　وقرأنا معًا دروسًا غوالي
مذ تركنا مع النموّ السريرا　　وهجرنا مراتع الاطفـالِ

***

غير أنَّ الحبيبَ كان غنيًا　　في الذي منهُ يا اخي انا خالِ
فعمًا كان حيث كنت خليًا　　سدَّ نقصي بما بهِ من كمالِ

الدور الثمانون

لو كنت انا الميت وكان ارثر في مكاني لكان يحمل الآلام بصبر و يعلم امره للعناية العليا وهذا الاعتقاد يعزيني ويقويني على احتمال آلامي بصبر وسكينة

لو دهاني الحِمام قبل الحبيبِ وعلى الارض ظلَّ بعدي حيًا
(أتراهُ بين الاسى والنحيبِ كان يقضي هذي الحياة عليًا)[١]

***

لا . ولكن في نفسهِ الحزن يبقى هادئًا ساكنًا عميق القرارِ
مستقرًا في الصدر. بالصبر يلقى كلَّ شيء بحكمةٍ واعتبارِ

***

وكأني أُصغي الى كلماته واراهُ بصبرهِ المعهودِ
حاملاً بالوقارِ حمل حياته مستفيدًا من العذاب الشديدِ

***

فانا الآن شاعرٌ بسلامِ صابرٌ مثلهُ على احزاني
ايها المستقرُّ خلف الظلامِ مدَّ ايدي العزا وعزَّ حياتي

---

(١) هذا البيت اضافة المعرّب وهو في الحقيقة شرح للفكر الموجود في الشرط اما في الاصل فجواب الشرط يقع في الدور الثاني

الدور الحادي والثمانون

يتأسف الشاعر لان حبهُ لصديقهِ الذي كان باطراد ينمو مع الايام قد اصبح بعد موتهِ كأنهُ حكم عليهِ بالتوقف عن النمو . ولكن الردى يجيبهُ على ذلك قائلاً لا تأسف فان حبك الذي كان يقتضي نضجهُ سنين طويلة قد نضج وتكمل بغتة بالموت .

أترى كنت قادرًا ان أقولا ... "وهو" حيٌ اني بلغت الكمالا
في ودادي فلا ارى لي سبيلا ... لازديادٍ ما العمر زاد وطالا ؟

***

ويحَ نفسي فالحب قد كان ينمو ... (آهِ لو ظلَّ نامياً كلَّ آنِ
يتقوَّى مع الحياةِ ويسمو ... ويزيد استعارهُ في جَنَاني)(1)

***

غير انَّ الردى اشار مجيبا ... لا تكن آسفًا لموتٍ معجَّلْ
ان أكن بغتةً اخذتُ الحبيبا ... فبيَ الحبُّ بغتةً قد تكمَّلْ

---

(1) في الاصل كان الحب يزيد قوة وجمالاً . واني لاكاد اقع مغمياً عليَّ اذ يخطر لي هذا الخاطر – انك لو بقيت حياً لظلَّ حبي ينمو ويقوى

الدور الثاني والثمانون

انا لا الوم الموت لانه ينقل الفضلاء من الارض الى السماء او لانه يفني الاجسام بل لانه نقل الحبيب الى حيث لا استطيع بعد ان اسمع صوته او حديثه

لا الومُ القضا لان المنونا تفسد الجسم في التراب فيفنى
لا فسادٌ يُزيل مني اليقينا (وسلام الايمان خير وابقى)

***

سنّة الكون ما لها تبديلُ بيد ان الارواح لنْ تتغيّرْ
من وجودٍ الى وجودٍ تحولُ وتموتُ الاجساد موتاً وتُنثَرْ

***

لا الوم الردى لنقل الفضيله من عن الارض حيث تثمر فضلا
في الأعالي تحيا حياةً نبيله وضيا الفضل ثَمَّ يظهر أجلى

***

إنْ ألمهُ وانْ تراني غضوبا ابدًا ناقمًا على الموتِ موته
فلأنَّ الحمام الفى الحبيبا حيث لا استطيع اسمع صوته

—×—

الدور الثالث والثمانون

اقبل العام الجديد . وكانما الرجاء الجديد الذي يبعثهُ في نفس الشاعر يشوقهُ الى الربيع فصل الحياة الجديدة فيسأل العام ان يسرع في سيرهِ الى ذلك الفصل الجميل

أيها العامُ در حثيثًا وأسرعْ   لا تخيّبْ آمال فصل الحياةِ
مرَّ حالاً الى الربيع وأطلعْ   فيهِ انوار شمسهِ المحييـاتِ (١)

***

سرْ سريعًا علامَ هذا التواني   عن اوانٍ تكسوك اثواب ظرف (٢)
أيعيش الشقاء في نيسانٍ   والاسى مع بدور فصل الصيفِ ؟

***

سرْ سريعًا واجلب زهور الربيعِ   من ورودٍ واقحوانٍ جميلِ
وشقيق وياسمينٍ بديعِ   ينشر الطيب في الهواء البليلِ (٣)

***

أيها العام ان توانيت يغدو   في فؤادي الاسى شديد التواني
فهو (٤) يهفو الى الربيع ليشدو   نغماتٍ جديدة الالحانِ

---

(١) في الاصل راس العام الجميل المتأخر غص في الشاطئ الشمالي . انك بتأخرك تسيء الى الطبيعة التي تنتظر الحياة فيا ايها المتأخر لا تتأخر بعد   (٢) في الاصل لماذا يتوانى جمالك عن مكانهِ اللائق

(٣) انواع الزهور المذكورة في الاصل افرنجية ولكننا آثرنا استبدالها بعربية هنا لانها مألوفة لدى القراء ولا تغير المعنى المقصود   (٤) الضمير هو يرجع الى فؤادي

الدور الرابع والثمانون

في اليوم الذي قد كان عيّن لزفاف اخت الشاعر الى صديقه الفقيد. هنا يتصور الشاعر حياة الفقيد العائلية المنعمة بالبركات واعماله العظيمة بين الانام ثم انتقاله وقد اكمل مسعاهُ على الارض الى دار الخلود وانتقال نفس الشاعر ايضاً معهُ الى تلك الدار التي يصبحان فيها روحاً واحداً

كلّما الحبُّ زادني إنعاما | في حياةٍ كانت هلالاً قصيرا
ورأيت النور الذي لو داما | لتلالا في الكون بدراً منيرا

***

خلت أني اراك اذ انت جالسْ | في حماك المنير بالبركاتِ
وحواليك صبية واوانسْ | بكَ يزهو كلٌّ بنور الحياةِ

***

هُمْ منك الفروع والاغصانُ | بل وبني هذا الاوان العتيدُ(١)
لقرانٍ (يا نعم ذاك القرانُ) | صلةٌ بيننا وعهد جديدُ

***

جلسوا فوق ركبتي ودعوني | خالهم ما الذّ ذاك الدعاء
انما الموت بين ذاك وبيني | حال اذ حوّل السرور شقاء(٢)

***

وكأنّي اراهمُ في حجري | وبدي فوق تلكمُ الوجنات
كل وجه اراهُ مثل الجمرِ | قرب نارٍ وهّاجة الجمراتِ(٣)

(١) صلة بيننا وعهد جديد — في الاصل هو صلة حياتك بحياة واحد من بيننا يعني اخته (٢) في الاصل انما الموت حوّل العرس مأتماً او الزهرة الوبتالية الى قتام السرو وجعل الرجاء قنوطاً وارجعك الى التراب (٣) في الاصل واخالهم يطلبون مني ان الاعبهم فالمس خدودهم وارى تلك الوجنات الوهجية تتوقد قرب موقد لم يوقد قط يعني بذلك بيت اخته

وانا ضيفك الكريم وقلبي طافح بالسرور والنعماء
بل شريك مشاطر في الحبِّ وقسيم في تلكمُ الآلاء

***

كل هذا وانت بين الانامِ قد تسنمتَ ذروة الاقبالِ
نلتَ اوج العلى واسمى مقامٍ بجليل الاقوالِ والاعمالِ

***

وغدا عمرك البهيُّ منيرا كلَّ يوم يضيء منهُ السبيلُ
في طريق العلى تبثُّ النورا وختام الحياة شيبٌ جليلُ

***

ومتى النفس اكملت مسعاها واتمتْ هُنا حياة الكبارِ
تركت ذا الورى فضاء سناها بالذي خلّفتْ من الآثارِ

***

وانا من مرابع العالمينا طائر . فيك قد انطت وجودي
فكلانا معًا نخوض المنونا نحو شاطي السلام دار الخلودِ

***

فنلاقي هناك فادي الانامِ قبلة الخلد للامين المجاهدْ(١)
باسطاً نحونا يد الاكرامِ واليهِ نأوي كروح واحد

***

ما لنفسي لها يلذُّ الهيامُ في بوادي التذكار والآلامِ
فذريني يا ايُّها الاوهامُ واتركيني اهنا بيدء السلامِ

(١) في الاصل القبلة المباركة بمعنى السماء

الدور الخامس والثمانون

يخاطب في هذا الدور الطويل صديقه ادموند لشنغتون الذي اقترن باخت الشاعر الصغرى سنة ١٨٤٢ ويبين له جوابًا على سؤال سألهُ اياهُ ان حزنهُ الطويل على صديقهِ الفقيد لم يقلّل ايمانهُ او يضعف عزمهُ عن السعي الحميد ولا اقفل قلبهُ عن سواه فهو يشعر بحاجة الى صداقة شريفة تخفف عنهُ اعباء الحياة فيمدّ يدهُ الى المخاطب مرحبًا بصداقة كصداقتهِ. ويبدأ هذا الدور معيدًا العدد الاخير من نشيد الحزن مع تغيير قليل.

ذا شعوري ما فاض بالحزن صدري
ذا يقيني من الحِمام تجلّى
حبٌّ وافقدْ فذاك اولى لعمري   من حياةٍ لا تعرفُ الحبَّ اصلا

***

أيها الصادق النبيلُ الفؤادِ   سائلي رغبةً بفرج كروبي
كيف امست عواطفي في فؤادي   وحياتي بين الاسى والنحيبِ

***

هل غدا الحزن مظلماً في قلبي   فتلاشى منهُ ضيا الايمانِ
ام هواهُ الشديد اطفأ حبي   لسواهُ فمات يأساً جناني

مخلصٌ انت في السؤال مؤسّي اذ تروم العزا لقلبي الحزين
ولطيفٌ منك العتاب لنفسي فاسمع القول من لسانٍ امينٍ [1]

***

كنتُ قبلاً (يملا فوادي النعيمُ) ودمائي تجري بلا تكديرٍ [2]
فاتاني نعي الفقيد الاليمُ من فيننا ونام نومَ الدهورِ

***

فعلتْ روحهُ متونَ العلاء (نحو دارٍ يدوم فيها الهناء)
وعلى الرحبِ عند باب السماء لقيتها الاملاك والاولياء

***

نقلوها الى المحلّ الرفيعِ حيث نبع الحياة والعرفانِ
وسقوها من ذلك الينبوعِ حكمة خصّصت باهل الجنانِ

***

وانا قد بقيت في الغبراء املاً مظلمًا ونفسًا حقيرهْ
تائهًا في الدجى قليل الرجاء كلُّ شيءٍ حولي يُقلُّ عبيرهْ

***

يا فؤادًا بجبهِ وهّاجا يا وجودًا في الاربع العلويةْ [3]
ايها الروح اذ لبست التاجا يا جمال الصدافة القلبيةْ

---

(١) في الاصل ان سؤالك لجدير بجواب صادق (٢) في الاصل ودمائي تجري جريًا واحدًا — اما عبارة يملأ فؤادي النعيم — فزائدة (٣) النداء هنا راجع الى الفقيد وهو ندا تعجب فكأنه يقول يا لله لفؤاد ولوجود الخ

آه. لكنْ ارادةُ الانسانِ   في احتياجٍ الى فؤادٍ رفيقِ
كيف نقوى على صروفُ الزمانِ   اوعلى الموت دون عون صديقِ (١)

***

كيفما سرت بعدهُ في حياتي   فهو بالنفس دائم الإِتصالِ
في فؤادي يحيا مدى الاوقاتِ   وانا تابعٌ على كل حالِ

***

تابعٌ تلكمُ الحياةُ النبيلَه   موئل المجد والبها والجمالِ (٢)
منتهى اللطف والخلال الجميله   والحجا والشعور والافضالِ

***

فعميق الشعور لم يتحوّلْ   في فؤادي ولم تخفّ المودّه
وعزائي طيفٌ لِحبّي تمثّلْ   في حياتي فزدت في الضعف شدّه

***

والمصاب العظيم لما حداني   في نشيدي الى ربوعٍ الروحِ (٣)
خفّف الحزن والاسى في جناني   وحباني مسكّنًا لجروحي

***

ففؤادي لذاك يخفق حرًّا   لكثيرٍ سواهُ من خلّانِ
كيف انسى ما يربط الناسَ طرًّا   برباط التعاون الانساني

---

(١) المعنى الحرفي — مع ذلك لا احد ادرى مني كم تحتاج ارادة الانسان التي بها نحتمل الحياة والموت الى معونة بشرية   (٢) في الاصل التي زينتها الآلهة بهذه المحامد المذكورة
(٣) اي لما حداني ان امس بنشيدي مسائل السماء والخلود

ها يدي بالولا اليك فندبي   إنْ تمادى اثمٌ ولطمُ خدودي
رغم ان الحبَّ الذي حَلَّ قلبي   كاسرٌ شوكة الزمانِ الأبيد[١]

***

ذلك الحبُّ قاهر الازمانِ   ابديٌّ فلا يخاف مخوفا
ليس شيءٌ في هذهِ الاكوانِ   يجعل الحب في فؤادي ضعيفا

***

انما الصيف والربيع الجميلُ   وخرير المياه بين التلال
وجلال الخريف حين يميلُ   ورق الدوح فيهِ نحو الزوالِ

***

ومجاري الهوا وموج البحورِ   واختلاف بين الدجى والنهارِ
قد اعادت في النفس ذكرى القبورِ   وهوىً في الحشا عميق القرارِ

***

ذكر حُبّي لمن ثوى في الضريحِ   وسكوتُ الحمام امسى عميقا
وكأني اصغي لصوت الروحِ   لي ينادي "اتّخذ سواي صديقا"

***

"من سنا الخلد كلَّ يوم اراقبْ   كيف تحيا بين الورى وتسيرُ"[٢]
"ليس بيني وبين نفسك حاجبْ   انما النطق والكلام عسيرُ"

---

(١) التعريب الحرفي لهذا الشطر – وانا شطر من تلك الصداقة التي قهرت الزمان يعني بذلك انه وصديقه الفقيد لا يمكن ان ينفصلا   (٢) الكلام في هذا الدور على لسان روح الفقيد

ايها الروح هل تشين الطبيعهْ   منك نور العلى ببعض الغمامِ
ايها الروح روح حبي الوديعهْ   أَمعي تشعرين بالآلام؟

* * *

"لست تستطيع سبر ذي الاسرارِ"   تهمس الروح من اعالي الوجودِ
"انا في الخلد في نعيم القرارِ   ناعم في شمول دار الخلودِ"

* * *

هكذا لاتزال نفسي تناجي   عالم الروح (ما وراء الغمامِ)
او لعلّي من وجدي الوهّاجِ   مبصر ذاك في ضيا الاوهامِ

* * *

عفوك الآن هب فؤادي رضاكا[1]   فدياجي الاوهام سوف تزولُ
وساستطيع ان اجيب ولاكا   بفؤادٍ ولاؤهُ لا يحولُ

* * *

بفؤادٍ صافي الطويّةِ إني   ياصديقي امدّ كفّ الشقيق[2]
انا الحبّ للذي غاب عني   ليس لي بعدُ مثلهُ لصديقِ

* * *

سابقُ الحبّ صاحب الصولجانِ   في فؤادٍ لم يعرف الحبّ قبلا
ما لهُ بين عاطفات الجنانِ   من نظير فاوّلُ الحب أَولى[3]

---

(١) الضمير راجع الى الخاطب صديقه الجديد

(٢) كف الاخاء . والاصل في الشطر الثاني انما لا استطيع ان احول اليك كل حبي للتقيد

(٣) في هذا العدد تصرف قليل انما المعنى الاصلي واحد

فيِ جنانٍ وان تألَّم حبًّا ذاكرًا بالاسى جميل ولاهُ
لا تراهُ في الصدر يضرب ضربا بعدهُ وأثبًا الى ملقاهُ

***

ان قلبي الذي تيتَّم بعدهُ[1] ليس يهوى موتًا بموت هواهُ
حاصرًا حبَّهُ بمن مات وحدَهْ بل يرى الحبَّ واجبًا لسواهُ

***

لك اهدي بقيَّة في جناني من هوى صادقٍ وحبٍّ غزيرِ
فشبيهُ زهر الرُّبى المتواني بالذي يزدهي اوان الزهورِ[2]

(١) في الاصل ترمل بعدهُ (٢) في الاصل عارفًا ان زهر ال Primrose المتأخر لا يزرق كثيرًا عنهُ في أبان الربيع

الدور السادس والثمانون

المساء جميل والنسيم العليل ينشر شذا الزهور في الارجاء وكأنما نفسي تجاري الطبيعة فاشعر بعواطف السلام وارى نجم الرجاء منيرًا في سبيلي يهديني الى ربوع الحياة والراحة

يا نسيماً يهبُّ في الارجاء بعد غيثٍ على الحقول غزيرِ
يطردُ الغيمَ عن محيّا السماء حاملاً للورى عبير الزهورِ (١)

***

هبَّ حولي فانَّ قلبي سعيرُ هبَّ (٢) لي منعشاً بي الآمالا
فلعلّي مع الخيال اطيرُ وعن الشكِّ والردى انعالى

***

نحو نجمٍ في الشرق يبدو لعيني والى الافق قد تدانى الظلامُ
فهناك الارواحُ بلا اذني همسها في الفضا سلامٌ سلامُ

(١) في هذا العدد تصرّف زهيد (٢) فعل الامر هب واقع اصلاً في آخر العدد السابق

الدور السابع والثمانون

على اثر زيارة الشاعر لجامعة كمبردج التي كان قد قضى اربع سنوات فيها مع صديقه ارثر هلم

بين قاعاتها مررتُ ووجدي هيَّجتهُ ذكرى العهود القديمةْ
صرت فيها امشي على غير قصدِ لا ابالي حشد الجموع العظيمةْ

***

وشجاني في منتداها الكبيرِ "ارغن" ثمَّ كان يرعد عزفا
راقصاتٌ امواجه في الاثيرِ من جراها الزجاج يرجف رجفا

***

وشهدت السباق فوق الماء ورأيت القوارب الجارياتِ
لم يفتْني في تلكم الارجاء مشهدٌ من ربوعنا السالفاتِ

***

كلُّ شيء كسابق العهد لكن لم يكن مثل سابق العهد عندي
والى المخدع الذي كان ساكن ارثرٌ فيهِ طرت من فرط وجدي

***

فرأيت اسماً غير اسمهِ فوق بابهِ فاصخت السماع عند البابِ
فسمعت الهتاف من اصحابهِ لسرور الصبا وطيش الشبابِ

ها هنا كنت مع صديقي قبلا   مع بعض الاصحاب والخلانِ
نُنفق الوقت في حديث بلا   كل نفس فيها وكلّ جنانِ

***

كم وقفنا مواقف الاقرانِ   في جدالٍ صعب وبحثٍ مُفيدِ
ورمينا باسهمِ البرهانِ   هدَفًا لم يُصبْهُ غير الفقيدِ

***

كان استاذنا وكنّا لديهِ   نبصر النور من سنا كلماتهْ
كلُّ قلبٍ يدنو اشتياقًا اليهِ   بارتياحٍ يصغي الى بيِّناتهْ

***

بحر فهم بكل علم تملأ   صوتُهُ الحلو مطربٌ للقلوبِ
بيّناتٌ ربِّ الوجودِ تجلّى   بضياها في وجهِهِ المحبوبِ

***

وكأنّا كنا نرى للاعالي   شخصُهُ يعتلي ويشرق نورا
وبعينيهِ من غريبِ الجمالِ   "ناظرا انجلو" يفيضان سحرا[1]

(١) انجلو هو ميشال انجلو المصور المشهور ويراد بذلك ان عيني الفقيد كانتا تفيضان بسحر من الفن كعيني ميشال انجلو

الدور الثامن والثمانون

الشاعر كالبلبل او المزار متباين الالحان والعواطف فبينا نراه يحاول نشيداً محزناً شجياً اذ هو يضرب على اوتار الظفر والمجد . فانّى له هذه القوة الغريبـة وكيف يستطيع ان يمزج الالحان المتناقضة او يجمع بينها ؟

يا هزاراً يشدو على الاغصانِ   نغماتِ السما بصوت الحبورِ
كيف مزجُ الالحان بالالحانِ   من شعورٍ مغايرٍ لشعورِ (١)

***

هاتِ قل لي بالله مالي اراكا   فرحاً تارةً وطوراً شقيا
في ظلام الاحزان تكسو غناكا   بهجة النور والسرور الخفيا

***

وانا رمتُ أنْ اغنّي حزينا   غير اني لم اضبط القيثارا
فضياء الوجودِ يومض حينا   في فؤادي ويلمس الاوتارا

---

(١) في الاصل اين تلتقي الحواس" واين تمتزج العواطف المتناقضة

الدور التاسع والثمانون

ذكرى ايام الصيف التي كان ارثر هلم يقضيها مع عائلة الشاعر في حديقة منزلهم بسومرسبي — ايام كان الفقيد يحب اخت الشاعر ويختلف الى سومرسبي في كل فرصة تسنح له مستجماً قواه من عناء العمل في المدينة .

يا جمالَ الحديقةِ الغنّاء رقّشتْ ارضها يدُ الاظلالِ
يا طوال الادواح فوق الماء أيُّها الروض اخضر السربالِ

***

كم اتاكِ الحبيب يبغي السكينهْ من نزاع بين الورى قتّالِ
نافضاً عنهُ شائباتِ المدينهْ من غبار العناء والاعمالِ

***

جاء يبغي هذي المشاهد حوله[1] فلعبنا معاً بملء الهناء
ورأى ههنا حياة جميله لا تُرى في ازدحام دور القضاء[2]

***

يا مساءً للنفس قد كان يحلو وعبيرُ النسيمُ هبَّ عليهِ
اذ يرى حولهُ الطبيعة ترنو بعد حرِّ النهار غمزًا اليهِ

(١) في الاصل أتى يعين لكل ما يراه (٢) كان الفقيد يستعد لشهادة المحاماة العليا

أيُّ صوتٍ اشهى لنفس العاني　　من صدى منجلٍ سرى في الصباح
وهبوب الرياح في الاغصانِ　　وسقوط الثمارِ إثر الرياحِ

***

يا نعيمًا ونحن فوق العشبِ　　وعلينا الحبيب يقرا كتابا
مفعمًا بالهنا ترى كلَّ قلبِ　　وهو يروي ما لذَّ معنى وطابا (١)

***

كم جلسنا في الروض عند المساء　　وسمعنا اطايبَ الالحانِ
تتعالى الى دراري السماء　　من فمٍ طيّبٍ لبعضِ الحسانِ (٢)

***

لست انسى نزهاتنا في الغابه　　حيث كنا نقضي النهار سرورا
فهناك الانسان ينسى مصابه　　لا يلاقي الاَّ الهنا والحبورا

***

كم قضينا فيها زمانًا جميلا　　بين بحث يلذّ للافهامِ
ونكاتٍ تحيي الفؤاد العليلا　　وحديثٍ يحلو لاهل الغرامِ

***

واذا ما مدحت عيش المدينه　　كان يرمي مدحي بسهم الملامِ
قائلاً ثَمَّتَ الحياة رهينه　　بجهادٍ يقودها للحِمامِ (٢)

---

(١) في الاصل يقرأ دواوين شعراء الطليان كدانتي وبترارك وسواهما

(٢) في الاصل — صوت اختي او صوت بعض الحسان —

(١) او للسقام وهي في الاصل في جهاد عنيف كل مره يحاول فيه ان يضعف سواه

يهادِ يبثُ ما في النفوسِ　　من جمال ومن شعورٍ وحبِّ
كان بحكي وخمرنا في الكؤوسِ　　وخريرِ المياه فوق العشبِ

***

ونهضنا وكل قلب بخمرٍ　　من هناء سكرانُ عند المساء
قبل ان غار هاوياً للبحرِ　　ملك النور بين جيش الضياء

***

ومشينا في الغاب بين الزهورِ　　وسمعنا الفلاح يشخب دَرّا(٣)
ورأينا انهاك نحل القفيرِ　　بين تلك الزهور يجمَن عطرا

(٣) في الاصل وسمعنا من خلف الاشجار الاناء يخور بشخب الحليب ويراد بذلك الاشارة الى العيشة الطبيعية في الرز

الدور التسعون

قد يزعم البعض ان في رجوع الاموات (لو صح رجوعهم) ما لا تحمد عقباه ولذلك لن يرحب بهم الاحياء ولن يقابلوا رجوعهم بغير الفتور والكراهية . على ان من يزعم هذا الزعم لا يدرك معنى الحب الحقيقي فحبذا لو رجع رفيقي القديم الحي وحبذا حياته ثابتة بقربي .

ليس يدري للحبِّ معنى صحيحا لاولم يشرب الزلال الجاري
من معينٍ في الخلد (يروي الروحا) خالصٍ من شوائب الاكدارِ [1]

***

من يرى أنّ انفس الامواتِ إن تعُدْ من رقادها في القبورِ
لا ترى في البنين والامّهاتِ وسواهم في الارض غير الفتورِ

***

قد بكوهم يوم النوى بدموعٍ من ينابيع حبهم سائلاتِ
قدّسوا ذكرهم بملء الخشوعِ وتمنّوا رجوعهم للحياةِ

(١) في الاصل من ينبوع ادنى الى السماء . والفاعل مذكور اصلاً في آخر هذا العدد

لو يعود الاموات حقاً الينـا   لرأوا في الحياة بعد المغيب
عاطفات الجفا من الوارثينا   وايادي زوجاتهم للغريب

***

وأين كان حظهم اكراما   من بنيهم وعاطفات حيه
واضطراب الفوضى يعم الاناما   بهم في مرافق والمدنيه

***

غير اني مهما يكن من فساد   يا حبيبي في عودة الميت حيا
لا ابالي فمن صميم فؤادي   اتمنى لو عدت حيا اليا

الدور والحاوي والتسعون

هوذا الربيع بازهاره وها الصيف وثماره على الابواب فعد الينا ايها الحبيب بنور الحياة نور الرجاء والخلود.

عُدْ الينا مع الربيع الجميلِ اذ تعود الحياةُ للاشجارِ
وعلى أنجم الربى والحقولِ يلعبُ الطيرُ مع شذا آذارِ

***

عُدْ بشكلٍ من السماء سنيٍّ بكمالٍ قد زال قبل الكمالِ (١)
عُدْ الينا بنور مجدٍ بهيٍّ بك يزهو ما بين اهل الاعالي

***

واذا الصيف جاء بالاثمارِ وتوالتْ على الحقولِ الريحُ
فغدا القمح مثلَ موج البحارِ وعليهِ شذا الورودِ يفوحُ

***

عدْ الينا مع الضياء المنيرِ لا مع الليل في الظلام الشديدِ
عدْ الينا تنير وجه النورِ بجمال العلى ومجد الخلودِ

---

(١) يراد بذلك كمالك الذي افلت حياتك قبل ان يتم منا على الارض

الدور الثاني والتسعون

لو صح رجوع الفقيد – لو تحققت احلامي برؤيتـه . هل كنت اصدّق ذلك ام احسب ما تراه عيناي ضربًا من الارتباك العقلي او الشعور الناتج عن شديد الرغبة بما نحب ان نراه ؟

لو تراءيتَ لي على الارض يوما وباذني همستَ اوضحَ قولِ
أفلا احسبُ الحقيقة وهما وارتباكًا او هزةً في عقلي

***

لو ذكرتَ العهد الذي قد مرّا وزمانًا مضى لنا بالامسِ
أفما كنت قلت انّ الذكرى خاطرٌ هبَّ من مكامن نفسي

***

ايهِ لو صحَّ منك كلُّ ظهورِ وجرى ما نطقتَ من اقوالِ
وأرتني حقًا دواني الشهورِ ما توهّمتهُ ارتباكَ خيالِ

***

لا اراهُ إلاّ شعاعًا خفيًا سابقًا للضياء في عمقِ نفسي
ربَّ امرٍ بالوهم يبدو جليًا قبل ان ينجلي لعين الحسِّ

الدور الثالث والتسعون

لا يعود الحبيب بالجسم الحيّ . ولكن روحهُ قد تدنو من روحي فنتناجي ونروي نفوسنا من احاديث المحبة .

فوق هذي الغبراء لن القاكا ليس للميت أنْ يعودَ اليها
لن يُحلّ القيد الذي اقصاكا عن ديار لقد نشأت عليها

***

لا نهوضٌ للجسم بعد الهجودِ لا ترى العينُ ظلّهُ في الحياةِ
انما الروح سرمديُّ الوجودِ قد يزور الانام بعد المماتِ

***

فالينا من عالمٍ لا نراهُ حيثما انت في هناء الخلودِ
مع ربٍّ السماء في نعماهُ من سحيق المدى واوج الوجودِ[1]

***

اهبط الآن واستمعْ همس قلبي نبني القلب فوق شرح الكلامِ
كنْ قريباً حتى تحسّ بقربي منك روحي فذاك كلُّ مرامي

---

(١) في الاصل من طبقات السماء العشر

الدور الرابع والتسعون

على ان الارواح المستقرة في ربوع الخلود المتنعمة بنور الحياة العليا لا تستطيع ان تقترب من النفوس المضطربة بالشر البعيدة عن السلام الداخلي ولا تحادث الا اهل الوجدان الطاهر والحياة الصالحة .

من يناجي الاموات من يتقدَّمْ بحديثٍ الى الملا الروحاني
غير مرءٍ بالحبِّ والطهر مفعمْ هادىء النفس طاهر الوجدانِ

***

عبثًا نرتجي من الارواحِ وهي في الخلدِ في اجلِّ مقامِ
ان تلبِّي نداء اهل الطلاحِ او تناجي الأ محبِّي السلامِ

***

لا تزور الارواح الاَّ شعورا ذا جمالٍ وكلَّ صدر أمينِ
ونُهى صافيًا يعي وضميرا مثل بحرٍ ادبمهُ في سكونِ

***

واذا القلب هاجهُ الاضطرابُ وانتفت عنهُ بالشكوك السكينه
فاليهِ الارواحُ لا تنسابُ بل على بابهِ تظل حزينه (١)

(١) كلمة حزينة زائدة والاصل تظل واقفة تصغي الى الاضطراب الداخلي

الدور الخامس والتسعون

في ليلة من ليالي الصيف الهادئة بعد ان كنت مع صحبي نلهو على المرج بالغناء جلست وحدي اقرأ رسائل الحبيب واذكر ايامنا الماضية فشعرت كاني امتزجت بروحهِ واعتراني ذهول غبت فيه عن الوجود ثم افاقتني الشكوك ولكنها لم تلبث ان زالت امام فجر الصباح .

نحن في الصيف تحت جنح المساء   والهوا منعش يطيب شذاهُ
فجلسنا جمعنا في العراء   فوق عشب في الروض جفّ نداهُ

***

والهوا ساكن لذاك المشاعل   قد اضاءت فيهِ بلا خفقانِ
ليس صوتٌ الّا النمير السائل   وكؤوس الشراب فوق الخوانِ

***

والخفافيش في الظلام كثيره   حولنا في فضاً ملاه العبيرُ
بعيونٍ صغيرةٍ مستديره   وصدورٍ صوفيّةٍ اذ تطيرُ

***

ورفعنا الاصوات بالترتيلِ   وسمعنا الصدى من الآكامِ
وتراءى لنا بنورٍ ضئيلِ   بقرٌ كان رابضاً في الظلامِ

***

ومضى الكلُّ للرقاد وناما   كل فردٍ وأُطفىء المصباحُ
ولنفسي بقيت ارعى الظلاما   والدراري تحيط بي الادواح

فاثار السكون شوقاً بقلبي لحبيبي وذكر ماضي الرسائل
فتناولتها وكانت بجيبي واعدت الذكرى لقلبي الشاغل

***

لا تسلني عن عاطفات الودادِ اذ ارتني وجه الحبيب السطورُ
وفؤادي يصيح بي في انفرادي "إن حبي لن يعتريهِ فتورُ"

***

بسلاح المحبة الازلية والرجا قد شهرت حرباً عوانا
في فؤادي على شكوك قوية ماضياتِ السلاح تردي الجنانا

***

هكذا ذكرهُ اضاء بنفسي مع تلك السطور والكلماتِ
واخيراً فاضت عليها كشمسِ روحهُ رغم تلكم الظلماتِ

***

باتحادٍ في روح حبي اللطيفه صرت بالفكر في ذهولٍ شديدِ
فاستقرّت على الاعالي الشريفه بي حتى سمعت نبض "الوجود"

***

اسمعتني الحانُها الازليّه خطواتِ الزمان في كل جيل
وانقضاض الفضا وضرب المنيّه ثمّ اني افقت بعد ذهولي[1]

(١) في الاصل أفاقتني الشكوك من غيبوبتي

حالة كيف يستطيع لساني شرحها في مقاطع وحروفِ
بل عسير على النهى من ثاني مرتقى ذلك المقام المنيفِ

***

بدأ الليل ينجلي وبدا لي من ورا الدجنّة الاشباحُ
بقرٌ رابض وبعض التلالِ وغصونٌ تقلّها الادواحُ

***

ثمّ هبّ النسيم في الافاقِ مالئًا بالعبيرِ كلّ مكانِ
لاعبًا بالغصونِ والاوراقِ اذ بدا النور ينجلي للعيانِ

***

ارقص الدوحَ بالهبوبِ العنيفِ فتمايلنَ بعد طول السكونِ
ايقظ الوردَ من كراهُ اللطيفِ وكذا النرجسَ الجميل العيون

***

ثم نادى "ألفجر الفجر يدنو" واعتراهُ السكوت بعد النداء
فبدا الفجر من ورا الأُفق يعلو ساحبًا خلفهُ جيوش الضياء

الدور السادس والتسعون

قد يكون الشك شرًا ولكن الحبيب لم يخلُ من الشكوك بل حاربها واستطاع بشكوكه ان يرتقي درجات الحياة العليا . ان الله يتجلى للنفس في نور الرجاء كما يتجلى في ظلام الشكوك فهو خالق النور والظلام على السواء .

ربةَ اللطف والبها والشعورِ   والفؤاد النبيل والوجدانِ [١]
أتقولين إنَّ ريب الضميرِ   نفخة الشر من فم الشيطانِ

***

قد عرفت امرءًا كبير الفؤادِ [٢]   والنهى عارفًا جميع الدقائق
وترَ الشكِّ مسَّ للانشادِ   يتوخى منهُ نشيد الحقائق

***

كان في الشك صادقًا وامينا   فاجادت يمناهُ عزف الاغاني
ان في صادق الشكوك يقينا   لاتراهُ في أكثر الايمانِ

***

حارب الوهم مستجمًا قواهُ   كيف يرضى بان يسير عميًا
لم يرعهُ في نفسهِ ما راهُ   من شكوك بل ظلَّ ثبتًا كميًا

***

فتقوّى ايمانهُ ورجاهُ   وبهِ الله قد جلا الديجورا [٣]
خالق النورِ والدجى لاتراهُ   في حدود من الضيا محصورا

---

(١) يخاطب في الارجح املي سلود التي اصبحت بعدئذٍ زوجته   (٢) في الاصل لا ادري — لكني عرفت امرءًا مطلعًا على دقائق الامور الخ   (٣) في الاصل وبه قوة الله حلت او سكنت الظلام

فهو يبدو بين الدجى والضبابِ   كتجليهِ في قديم العصورِ
فوق سينا وشعبهُ في اضطرابِ   يعبد العجل رغم نفخ الصورِ (١)

الدور السابع والتسعون

كيفما التفت ارى حبي يتجلى في الكائنات حولي . الصخور والاشجار والجبال وسواها كلها مظاهر لهذا الحب الخالد . على اني اراهُ اليوم خاصة كحب زوجين صادقين لكن الزوجة بسيطة والزوج بحاثة علامة فهو على حبهِ لها لاهٍ عنها بابحاثهِ العميقــة . وهي على جهلها اعالهُ ومآتيهِ تحبهُ وتكرس حياتها لاجلهِ .

في الربى . في الصخورِ حبي اراهُ   يتجلى—في الدوح—فوق الجبال
كلُّ شيءٍ يرى يعيدُ سناهُ   فهو راءٍ جمالهُ في الجمالِ (٢)

***

ان روحي كانت لروح حبيبي   كعروس بسيطةٍ لعريس
نال من علمهِ أجلَّ نصيبِ   وغدا ساطعًا كاسنى الشموسِ (٣)

***

قضيا العمر والزمانُ وديعُ   ابدًا في مسرَّة واتفاقِ
أنْ يكونا معًا فذاك الربيع (٤)   والردى كان في النوى والفراقِ

---

(١) يريد بذلك ان الله يتجلى لطالبيهِ في ظلام الشكوك كما تجلى لموسى في ضباب جبل سينا بينما كان الشعب الجاهل يعبدون العجل الذهبي الذي صنعوهُ

(٢) في الاصل فهو يرى نفسهُ في كل ما يراهُ   (٣) في الاصل ما نظرت الى عظمتك والى هذا الوجود الا وشبهتك ونفسي بعروس وعريس والمعنى الظاهر في العدد العربي مستمدٌّ من روح الدور كلهِ كما سترى

(٤) في الاصل فكانون حزيران

ما تراخى الولا بمرّ الليالي	لم يزل زوجها أمين الفؤادِ
فهي تزري بمفترى العذّالِ	انهُ غير صادقٍ في الودادِ

***

تُنفق الوقتَ وحدها وهو لاهٍ	في عميقِ المباحث العلميّة
انما حبّهُ لها غير واهٍ	فهي تحيا لهُ بنفس رضيّة

***

في عويص الابحاث يجري نهاهُ	فيريهِ الاسرار في الا كوانِ (١)
فهو قاصٍ لكن قريبًا تراهُ	وهو جافٍ لكن شديد الحنانِ

***

وبحرصٍ على الهدايا القديمه	منهُ تعنى حبًا لهُ ووِدادا
جهلها قدر مجدهُ وعلومه	لم يزدها في الحبّ الا انقادا

***

فلهُ تارة تغنّي وآنا	يديها تجود بالالحانِ
بيتها الكلُّ — ليس تعرف شانا	غيرهُ وهو عارفٌ كل شانِ

***

ثابت في فؤادها الايمانُ	وبإيمانها تراهُ عظيما
"لست ادري" بصيح منها الجنان	"غير اني أُحبُّ حبًا صميما

---

(١) في الاصل فيكشف اسرار النجوم

الدور الثامن والتسعون

مخاطبًا اخاهُ تشارلس وهو على اهبة السفر مع عروسهِ ليقضيا شهر العسل على نهر الرين ونهر الدانوب وهنا يذكر الشاعر اياماً قضاها مع صديقهِ على ضفاف الرين ويلتفت الى فينا فيذكر انهُ لم يرها قط وانهُ يكره ان يزورها لان صديقهُ مات فيها

راحلٌ يا اخي الى الرين ملهى   طالبِ الحسن بين تلك الربوعِ
حيث كنا حيناً — ونقصد منها[1]   بين مجد الرُّبى وخضر الزروعِ

***

لقينا حيث الردى وافاهُ   ما قيناً عندي سوى الآلامِ
فيها كبارقٍ القاهُ   في مجاري الفناء طرف الحمامِ[2]

***

خلِّ فيها النهر العظيم يسيلُ   مستديرًا من حول تلك الجزائرْ
لم ازرها قبلاً ولست أميلُ   ان ارى بالعيان تلك المناظرْ

***

فهناك الاهوالُ لي والظلامُ   تتراءى في تلكم الارجاء
وهناك الحمام والاسقامُ   وقبورُ الاحباب والاقرباء[3]

(١) كنا . يرجع الضمير الى الشاعر والى صديقهِ الفقيد   (٢) في الاصل ليس بها الا كوميض
في طرف الحمام فوق نهر السيان . لقينا متعلقة بنقصد   (٣) في الاصل هناك الظلمات الدامسة والاهوال
التي تصيب كل احد وهناك فراق الاحباب وقبور الابناء يبكي عليها الآباء وكثير غير ذلك في الشرور

وهناك الاحزان ترمي ظلالا   مظلماتٍ على قلوب البرايا
لا تراعي الملوك والاقيالا   تقتفي الكلَّ طالباتٍ ضحايا

***

غير اني سمعت اثرًا يروي   عن ڤينا رواية الإجلالِ
مركبات فيها كسيلين تجري   تحت ظلٍّ من دوحها المتعالي

***

قال كلٌّ فيها على خير حالِ   وهي بالنور في جميع النواحي
تزدهي والهباء والاقبالِ   والملاهي وخفة الارواحِ

***

وقصور المليك والامراء   ورحيب الساحات يرقصن بشرا
وتشعّ الانوار في الظلماء   كالدراري يسطعن حمرًا وخضرا

الدور التاسع والتسعون

ذكرى ١٥ ايلول (سبتمبر) وهو اليوم الذي توفي فيه ارثر هلم (راجع ذكرى هذا النهار في الدور الثاني والسبعين ايضًا)

طالع انت في محيا قاتمْ　　يا نهارًا مضى بخير الرجالِ
طالع انت مع هديل الحمائمْ　　ومواء الخرافِ فوق التلالِ

***

طالع يعتري ضياء الفجرِ　　منك خفقٌ على الغدير السريعِ
في ربوعٍ تحيي لنا خير ذكرِ　　هي عند الموتى اعزُّ ربوعِ

***

تهمس الريح فيك للافنانِ　　نغماتٍ تنسي الحزين اساهُ
وبمسُّ الخريف في الاغصانِ　　ورقاتٍ تحمر في يمناهُ

***

يا نهارًا يحيي لبعض الانامِ　　كلُّ ذكر بلاهمُ افراحا[1]
ولبعض ذكرى النوى والحمامِ　　فتنقلُ الذكرى لهم اتراحا

***

كلُّ اهل الغبراء ذا اليوم عندي　　مثل اهلي وكل فردٍ قريبُ
شركائي لي في الاسى والوجدِ　　وانا عنهم جميعًا غريبُ[2]

---

(١) في الاصل تذكارات ولادات واعراس　　(٢) في الاصل وهم لا يعرفوني

الدور المئة

تنسون وعائلته على وشك الانتقال من مربعهم القديم في سومرسبي الى مربع آخر. فيلتفت الى تلك المنازل ذاكراً فيها حبه القديم وايام الصبا الجميلة

فوق نجدٍ وقفتُ ارسل طرفي   فوق تلك الرُّبى وتلك البطاحِ
فاذا ذكرهُ كطيِّبِ عرفٍ   فاح منها الى جميع النَّواحي

***

فجميع الارياض والساحاتِ   وهشيم الغيطان والادغالِ
وشعابِ الجبال والهضباتِ   ومراقي القطعان بين التلالِ

***

وجميع الاشجار فوق الروابي   وهي تصغي الى اغاني الطيورِ
والاحادير في صدور الهضابِ   ونسيم الوادي وصمّ الصخورِ

***

ومجاري المياهِ بين الغياضِ   عاطفاتِ المسيرِ بين الضفافِ
واخضرار الاعشاب فوق الرياضِ   وعليها يرعى قطيع الخرافِ

***

كم حبيبٍ قد سرَّه مرآها   كم الينا تعيد عهداً سعيدا
فكأني بهجرها لسواها   لي حبي يموت موتاً جديدا

الدور المئة والواحد

تابع لمذكارات ربعو القديم الذي يوشك ان يفارقه

من ترى بعدنا بشوقٍ يراقبْ حركاتِ الرياح بالافنانِ
وسقوط الاوراق من كل جانبْ واستواء الثمار في البستانِ

***

من يرى بعدنا بشوقٍ صباحا "زهرة الشمس تزدهي كالضياء
وعبير القرنفل انفيّاحا في هواء بهجٍ بالاحياء

***

من تُرى يرقب النمير الجاري طربًا من بدائع النغمات
وهو يجري فوق الحصا في النهارِ او بنور النجوم في الظلماتِ

***

حين يجري من حول دوح الغابِ طاغيًا فوق منزل "البلشونِ"
او اذا البدر ضاء مثل حرابِ من لجينٍ علَى مياهِ الجونِ

***

ليس عين ترى جمالاً نراهُ إنْ رحلنا حتى تجيء الليالي
بغريبٍ يعتادهُ ناظراهُ فيرى مثلنا مجالي الجمالِ

***

يحرث الارض ربُّها كل عامِ بعدنا او يهذّب الاغصانا
وتخفّ الذكرى مع الايامِ من ربوعٍ عنها يطول نوانا

الدور المئة والثاني

لا استطيع ان اميّز في وداع مربعي القديم بين تذكارات صباي وتذكارات حبّي . كلاهما شديد على نفسي

قد دنت ساعة النوى عن مشاهدْ وربوع نشأتُ فيها قديما
عن ربوعٍ محبوبةٍ سنشاهدْ عن قريبٍ فيها الغريب مقيما
***
وبقلبي دارت رحى لخصامِ بين قرنين يبغيان احتكاما
بين روح الصبا وروح الغرامِ وانا واقف هناك احتراما
***
فلسان الاولى بلطفٍ يقولُ بين هذي الآكام والاشجارِ
قد ترعرعتَ فالربى والحقولُ لك تشدو حبًّا مع الاطيارِ
***
فتجيب الاخرى ولكن تذكَّرْ كم ليالٍ فيهنَّ جبت الربوعا
بسرور تمشي الى جنب ارثرْ وبهِ ازددت بينهنَّ ولوعا
***
بين هذي وتلك طال النزاعُ وانا صامتٌ وقلبي حزينُ
لم يزالا حتى تدانى الوداعُ ليس خصمٌ قصد السلام يلينُ

ثم اني أدرتُ لحظ العينِ　　عن محيًا تلك الربوع اللطيفِ
فاذا بالخصيبن متحدين　　في شعور الاسى بقلبي الاسيفِ

الدور المئة والثالث

حلم رأيت فيه نفسي سائرًا الى الامام الي بحر الوجود الاعلى ومعي حسان يرافقنني الى حيث الحبيب (وهو يكنى عن الحسان بمواهبه الطبيعية) حتى اذا وصلت سرت وإياه الى سماء الخلود ومعنا تلك الحسان الناعمات

في المساء الاخير قبل انتقالي　　من ربوعٍ فيها عرفت الوجودا
وانا في الفراش حلمٌ بدا لي　　منهُ اصبحت في الصباحِ سعيدا

***

خلتُ اني في بهوِ قصرٍ كبيرِ　　فوقَ نهرٍ يرويهِ ماء الجبالِ
وحواليَّ بعضُ عِين الحورِ　　مشرقات من البها والجمالِ

***

فرفعنَ الاصواتَ بالانشادِ　　حول شخصٍ مقنَّع من رخامٍ[1]
وهززنا الاوتارَ من أعوادِ　　تحمل الوحي في حكيم الكلامِ

***

غير أني لقد عرفت قوامَهْ　　فهو حب عن حبهِ لن احولا
وارتني الرؤيا كأنَّ حمامهْ　　من على البحر قد اتتني رسولا

(١) كلمة رخام غير موجودة في الاصل . والمعنى الاصلي تمثال

عرف الغانياتُ أنّيَ ذاهبٌ   فبدلنَ الغناء ندبًا وحزنا
ومشينا معًا الى حيث قاربٌ   كان في النهر راسيًا وركبنا

***

وجرينا فوق المياه بلطفٍ   في مجارٍ تنساب كالافعوانِ
بين زهرٍ يرنو الينا بعطفٍ   وغياضُ القصباء كالعقيانِ

***

نقصد البحر وهو يسمو لدينا   بسطةً والسيولُ تعظم حالا
والغواني يزددنَ في السير حسنا   وبهاءً وقوةً وجلالا

***

واذا بي قد صرت اصلب جسما   في مسيري وصرت اصلبَ نفسا
فكأني اعطيت اعصاب أنا — كيم عزمًا وقلب تيتان بأسا[1]

***

وشجاني صوت وشنف اذني   نغمٌ منبئٌ بموت الحروبِ
وقيام الجيل الذي سوف يبني   بعدنا المجد والعلى في الشعوبِ

***

وجرينا كذاك حتى انتهينا   لشواطي البحر الخضمّ الكبيرِ
واذا ثَمَّ مركبٌ فدنونا   منهُ بالقارب الجميل الصغيرِ

***

وعلى ظهرهِ لقد كان ارثر   جاء مستقبلاً لنا اشفاقا
واليهِ صعدت لم اتأخر   وعلى عنقهِ ارتميت اشتياقا

---

(١) اناكيم وتيتان من جبابرة الميثولوجيا اليونانية

وإذا بالحسان صارت تصيح وتنادي ونلطم الوجنات
أفعنّا تمضي جنًا وتروحُ ولقد كنا اصدق الخادمات

***

غيرُ أني لفرط وجدي وشوقي لحبيبي اغفلت ردَّ السؤالِ
فاجاب الحبيبُ عني برفقٍ مَعَهُ أصعدنَ يا ذوات الجمالِ

***

حملتنا الرياحُ فوقَ العبابِ كلّنا نحو غيمة في الافقِ
شلالا بقرمزيٍّ الخضابِ وهي تبدو كاليبس فوق العمقِ

نشيد السرور

من الحزن الى الرجاء الى السلام الى السرور . تلك هي السبيل التي سلكتها نفس الشاعر في جهادها الروحي . وفي كل خطوة كانت تشعر بقوّة جديدة تدفعها الى الامام حتى وصلت الى العالم الاسمى فرأت قوّة الله الفعالة تعمل في البشر وارتفعت لديها عن اهتمامات الذات الى المحبة الشاملة التي تفيض على النفس بانوار السلام والسرور . فاساس السعادة في نشائد الذكرى انما هو الرجاء بالخلود الذي يقرّب العقل البشري من مقرّ القوّة الروحية العليا ويفتح لديه باب الوجود السرمديّ . الظلام والشك والحيرة العقلية انتهت بعد جهاد عنيف خاضه العقل المخلص الساعي وراء الحقيقة الازلية الى ذروات النور . وهناك ادرك ما لا يدرك بالبرهان والقضايا المنطقية ان وراء المحسوس ووراء المعقول سعادة حقيقية لا تنال الاّ بالايمان والرجاء والمحبة

الدور السنة والرابع

عيد الميلاد الثالث والاجراس تقرع كالعادة فتذكّرنا بالعهود السالفة وتوقظ فينا شعور الاسى على أننا غرباء في مقرّنا الجديد ولذلك قلما نشعر بجلال العيد وقداسته

مكفهرٌ مساءُ ذا الميلادِ يحجبُ البدر ما وراء الغمام
ليس الاّ كنيسةٌ في الوادي تنادي اجراسها في الظلامِ (١)

***

فشجاني منها الطنين مثيرا في فؤادي شكوى تزيد وجيبه
موقظـاً في دجى المساء الشعورا أنّ هذي الاجراس عني غريبه

***

انّ هذا المكان غيرُ مقدّسْ كلُّ شيءٍ فيهِ غريبٌ لديّا
ليس للعين مشهد بهِ تأْنَسْ ليس شيءٌ يحيي التذكُّر فيّا

---

(١) قد يكون للكنيسة الواحدة بضعة اجراس . وهذا ظاهر في الاصل في العدد الثاني من هذا الدور

الدور المئة والخامس

فلنبطل الزينة في هذا المساء ولنتجنب فيه دواعي الزهو والملاهي التي اقمناها في العيدين السالفين جرياً مع العادة . فلا شيءٌ يحلو غير السكون والهدوء

فاتركوا الآنَ زينةَ الاعيادِ انما نحن في ربوعِ الغريبِ
والينا مساءُ ذا الميلادِ قد دنا مقبلاً بشكلٍ غريبِ

***

ها بقايا ابائنا في قبورٍ فوقها غيرُ ذا السحاب يجودُ
واليها يعود عرف الزهورِ[1] باوانٍ ونحن لسنا نعودُ

***

(فلنقف) لاندع دواعي السرورِ تزدري حزننا ولا الزيناتِ
ان هجر الحمى وكرَّ الدهورِ قد امانا تحكمَ العاداتِ[2]

***

ولتزِلْ كل شاغلٍ في الحياةِ من منى او رغائب في القلوبِ
ولنكرِّمْ عهودنا الماضياتِ بخشوعٍ في ذا المسا المحبوبِ

---

(١) في الاصل بذكر بعض الزهور الخاصة (٢) اي ان هذين الامرين قد اضعفا في نفوسنا الميل الى العادات القديمة

لا برقصٍ نزهو بهِ او بلعبٍ　　او كؤوس المدام او الحلوياتِ
ايُّ قلب يُزهى بها اي قلبٍ　　بعد ان اصبحت كبعض الرفاتِ (١)

***

لا تغنّوا لا تلمسوا الاوتارا　　في مساءٍ يروق فيهِ السكونُ
اتركوا الزهو وارقبوا الانوارا　　فوق افق الشرق الجميل تبينُ

***

من نجوم الصباح خلف الغابِ　　طال نوم الحياة طيَّ البزورِ (٢)
اقبلي يا نجوم نحو الغيابِ　　واختمي العامَ بالصلاحِ الوفيرِ (٣)

---

(١) الضمير المؤنث يرجع الى العادات القديمة　　(٢) في الاصل طال نوم الصيف في البزور
(٣) التعريب الحرفي أكملي سيرك وانت مهدين الدورة الاخيرة من العام الى الخير الوفير

الدور المئة والسادس

يقف الشاعر مصغيا الى اجراس رأس السنة فتتأثر نفسه ويخاطب تلك الاجراس بنشيد صبح معروفا لدى الخاص والعام[١]

أيها ذي الاجراسُ نادي ونادي　　　جلدًا للرياح فيهِ هبوبُ
كلّي الفجر والغيوم الغوادي　　　ودعي العامَ في الظلام يغيبُ

***

ودّعي في الحياة كلَّ قديم　　　هلّلي الآن فوق هذا الجليدِ
ودّعي كلَّ كاذبٍ وذميم　　　وتعالي بكل شيءٍ جديدِ[٢]

***

اذهبي بالاسى على الاموات　　　انهُ آفة النُهى والقلوبِ
وازيلي تعاديَ الطبقاتِ[٣]　　　واحملي الخير والهدى للشعوبِ

***

اذهبي بالمبادىء المائتات[٤]　　　وبروح التحزّب المذمومِ[٤]
وتعالي بخير ما في الحياةِ　　　بمبادٍ اسمى وشرع قويمِ

---

(١) في هذا الدور يخاطب الاجراس بعبارتي ring in و ring out ويقابلها . رحّبي وودّعي على اننا قد استعملنا لها في كل عدد ما يناسب من الافعال　(٢) قد ترك من الاصل قد مضي العام فليمض　(٣) في الاصل العداء بين الفقير والغني　(٤) في الاصل التي تموت ببطء

اذهبي بالشقاء والآثامِ بفتور الايمان في ذا الزمانِ
بنشيدي الموزون بالآلامِ وأسمعينا اطايب الالحانِ

***

أبعدي الفخر في دمٍ او بلادِ وأزيلي تهكمَ العصبيّة
واحملي الحبَّ للجميع ونادي باحترام الحقوق بين البريّة

***

أبعدي كلَّ شكل داءٍ قبيحِ وهوى المال من قلوب الانامِ
بعصور الحرب القديمة[1] روحي واقلي لنا عصورَ السلامِ

***

اذهبي بالدُّجى عن الاوطانِ وتعالي بكلّ حرّ الصفات
بنديّ اليدين شهم الجنانِ واحملي للورى المسيحَ الآتي

---

(١) في الاصل بالوف الحروب القديمة

الدور المئة والسابع

اليوم الاول من شباط — عيد ميلاد ارثر هلم . والرياح القارصة تهبّ فوق الجليد في ذلك المساء المظلم . ومع ذلك نرى الشاعر مهتمًا بحفظهِ وجعلهِ من ابهج الاعياد

هو يومٌ قاسٍ شديد النابِ	بكرتْ شمسهُ بهِ للمغيبِ
خلف افقٍ من قرمزيّ السحابِ	اذ دنا الليل في محيًا كئيبِ

***

لا زهورٌ فيهِ تزين الخوانا	ليس غير الغيوم والعاصفاتِ
وجليد هناك يغشى المكانا	وهو مثل الحراب في الشرُفاتِ (١)

***

سدّدتْ شوكها بهِ الشائكاتُ	لهلالٍ قد كان كالمصباحِ
فوقَ غابِ اغصانهُ عارياتُ	يتطاحنّ في هبوبِ الرياحِ

***

في ضبابٍ قد امتطى الارياحا	فغدا البحر مظلمًا بالضبابِ
(انهُ العيد) فاملأوا الاقداحا	وادبروا لنا لذيذ الشرابِ (٢)

***

أوقدوا في المواقد النيرانا	دفّئوا البيت ولنكن فرحينا
وتعالوا نشنِّف الآذانا	بحديثٍ كانما هو فينا (٣)

---

(١) في الاصل وكان يبدو كالخناجر من شرفات السطوح (Eaves)

(٢) انهُ العيد زائدة هنا والاصل املأوا الاقداحا الخ على ان المراد الاستدراك هو ان اليوم يوم ميلاد الفقيد

(١) هو راجع الى الفقيد ارثر هلم

نحن نحيي ميلادهُ بحبورٍ　　بسنيّ ِ الاقوال والالحانِ
نخبةُ فاشربوا لذيذ الخمورِ(١)　　واعزفوا ما يروقهُ من اغاني

الدور المئة والثامن

اذا كان للحزن من ثمار صالحة فهي لا تكون في العزلة والانفراد بل في الحياة الاجتماعية بين الناس حيث نستطيع بالفضيلة واعمال المحبة ان نحوّل الحزن الى ربح جزيل

افأقضي بالاعتزال حياتي　　فاذيب الفؤاد بالاحزان
ومع الريح مرسلاً زفراتي　　انفق العمر قاتلا وجداني(٢)

***

ايُّ معنى لفارغ الاشواقِ　　أعقيمُ الايمانِ يجديك شيّاً
إنْ تغص تحت اعمق الاعماقِ(٣)　　او تنل ذروة السماء رقيّاً

***

هل تراني التقى بأوج الأعالي　　غير طيفي مرجعاً اشعاري
او بعمق الحمام غير خيالي(٤)　　عكستهُ على الردى افكاري

***

فلأدع عزلتي فجنْي ثمار الـ　　ـحزن بين الورى لعمري اولى
في الاسى حكمة تفيض بصدر الـ　　ـمرء منّا مهما جنى الحبُّ قبلا(٤)

---

(١) في الاصل نخبة فاشربوا مهما كانت حالة الآن
(٢) قاتلاً وجداني في الاصل فاصبح جامداً كالصخر
(٣) اعمق الاعماق يراد بذلك عمق الموت　　(٤) في الاصل عبر وجه بشري يطفو على بحر الموت ويراد بهذا العدد هل الاقي في انفرادي غير افكاري وعواطفي ترجع اليّ معكوسة عما حولي
(٥) مهما انفرد بو التقيد من الحكمة التي نالها هنا فلا يزال لنا في الحزن حكمة يجب ان نشارك بها الآخرين

الدور المئة والتاسع

يلتفت الى صديقه الفقيد فيرى فيه جمال تلك الحكمة السامية وتلك الصفـــات النبيلة ويصوّرها لنا بهذه الصوَر الشائقة . صور المقدرة والاحتمال واللطف والحنان

فيضُ قلبٍ على كلام انيق   صادر عن تفنن وذكاء
نظرٌ نافذٌ لكلِّ عميقٍ   من ينابيع حكمة الشعراء[(١)]

***

قوّة من حجًا شديد المضاء   يقتل الريب في القلوب مضاهُ
منطق ملتظٍ بنار الذكاء   يسبق السمع فائضاً مجراهُ

***

شرفٌ في هوى لصنع البرِّ   خالص من كآبة الزهادِ
واندفاع في النفس قد كان يجري   ناصعاً من ربيعِ ذاك الفؤادِ[(٢)]

***

شغفٌ في محاسن الحريَّةْ   وهي كالملك فوق عرش اسمى
في حماهُ لا عن هوى وحميَّةْ   دون فكرٍ او عن غرورٍ اعمى[(٣)]

***

قرنت نفسهُ بلطف الفتاة   ما بهِ من رجولةٍ وشهامهْ
فرأى في جمال تلك الصفات   اضعف الناس ملجأً وسلامهْ[(٤)]

---

(١) في الاصل نظر يرى سبل ربة الشعر (٢) في الاصل وحماسة ناصعة الطهارة في كل تلك السنين الربيعية (يعني بذلك عمرهُ) (٣) في الاصل لا عن اندفاع كاندفاع التلميذ في المدرسة او تهوّس السلتي نسبة الى السلت سكان بريطانيا الاقدماء (٤) في الاصل اقرنت الرجولة بلطف الفتاة فصار حتى الطفل الضعيف يشعر بامن وسلامة ان يقترب ويأخذ بيدك

كلُّ هذي الطباع فيك تجلَّ ... أَلنفسي يغدو سُدىً مجلاها
يا لعاري ان كنت لا اتملّى ... حكمة منك ضاء حولي سناها

الدور المئة والعاشر

لا يزال يعدّد صفات حبيبو ومزاياهُ الفريدة ولا سيما تلك الشخصية الجذابة التي كان تسبي الجميع وتسحرهم بكمالها

قد سبانا ونحن اكبر سنًّا ... منك سامي حديثك الفتّانِ
فلديك الواهي العزيمة منّا ... نسي الخوف والونى في الجنانِ

***

بك هامَ الوفيُّ في الناس قلبا ... ولديك الفخورِ ابطل فخره
وغدا الخِبُّ ذو اللسانين يأبى ... ان يكون الثعبان ينفث مكره

***

كل قاسٍ لديك امسى رفيقا ... وتولى المهذار صمتٌ طويلُ
وغليظ الطباع صار رقيقا ... ليس يدري علام ذا التحويلُ(١)

***

وانا اكثر المحبين قربا ... لك ازهو بهذهِ الامجادِ
وفؤادي المشغوف يزداد حبا ... انها فيك يا نبيلَ الفؤادِ(٢)

---

(١) اصلاً ليس يدري لماذا (٢) في الاصل يالطيف الذوق ويا اذا السلوك السمي

ليس لي ما حويتَهُ من كمالِ   انما لي محبة لن تحولا
تدفع النفس في سبيل الاعالي   سالكًا من وراك هذا السبيلا[١]

الدور المئة والحادي عشر

ما اقل الفضلاء والنبلاء بالنسبة الى من يدّعون الفضل والنبل

وما كل هاوٍ للجميل بفاعلٍ   ولا كل فعّال لهُ بمتممِ

انما انت ايها الحبيب اشرف مما تبدو بهِ للناس وما صفاتك العالية ومزاياك النبيلة الأ صورة صغيرة من كمالك الحقيقي

الحقير الاخلاقِ بين الأنامِ   اينما كان في مراقي الوجودِ
وارثُ الصولجان والاحكامِ   ظاهرًا وهو باطنًا كالعبيدِ[٢]

***

الحقيرُ الاخلاقِ مهما توارى   خلف ستر الازياء والعاداتِ
جامح طبعهُ فيبدي جهارا   ما اختفى تحت مُذهب الظاهراتِ[٣]

***

من يُتمّ الجميل بالفعل حقًا   غير من ذكرهُ ملا الارجاء
نفسهُ من ظواهر النبل ارقى   من سنا لطفهُ أجلُّ سناء

---

(١) في الاصل ليس لي اللطف والذكاء ولكني لي محبة تدفع ارادتي المقلدة لتسير وراءك

(٢) او صعلوك في النفس   (٣) تحت مذهب الظاهرات اي تحت المحسنات التي يبديها او يدّعيها والاصل ان توضع كلمة جنا بعد طبعة فيكون جامح طبعهِ جنا

صورة النفس فعلهُ فتراهُ بلطيف الاخلاق قد ناط فعلهُ [1]
نبلهُ زهرة نمت في حجاهُ وغدا القلب والطبيعة اصلهُ

***

لا صغارٌ فيهِ ولا استهزاءُ بسواهُ يُريكَ ذاك الناظرْ [2]
فيهِ اللهُ والطبيعة ضاءا باتحادٍ ضوءا انار الخواطر

***

هكذا النبلَ نال باستحقاقٍ لا كبعض الاولى ادّعوهُ ادّعاءْ
البسوا نبلهم لباس النفاقِ واهانوهُ خسّةً ورياءْ

(١) في الاصل وقد ناط كل سانحة من حجاهُ بآداب السلوك وحسن الاخلاق
(٢) الناظر . العين

الدور المئة والثاني عشر

يلومني البعض على ما اظهرهُ من الضعف في تعظيم مواهب الفقيد وتحقير سواها . ولكن تلك المواهب قد ملأت ناظريّ وشغلت كل قواي فلا ارى بعد من رجاء لشخصية تكاملت فيها اسباب الرقيّ مثل تلك الشخصية الكاملة

ليس من حكمة وحسن اعتبارِ —وانا عالم بأنْ لا كمالا—
ان ارى دائماً بعين احتقارِ حسناتٍ في غيرهِ تتلالا

***

انما انت قد ملأتَ جناني بهوًى تامني فزدت هُياما
منيةَ القلب ما بهِ من مكانِ لنفوسٍ احطّ منك مقاما

***

في رحاب الوجود ضاهِ بهاكا قوةٌ بغتةً بدت وستبقى
ليس يرجو الرجاء اذ يرعاكا من رقيٍّ ما يُرى فيك ارقى

***

من هيولى نالت اتمَّ انتظامِ من ثبوت عني اشتدادِ الزوابعْ
من مجارٍ يجرينَ نحو الامامِ وهي للعقل في المسير توابعْ[1]

(١) يراد بذلك ان في هذا الشخص يشاهد عوامل الرقي جميعها من مادية وفكرية

الدور المئة والثالث عشر

لو عاش لكان ركناً عظيماً للخير في بلاده ولاسيما في زمن كان يتمخض بانقلابات عظيمة في القارة الاوربية . قال غلادستون (وهو رفيقه في المدرسة) قد فقدنا بفقده قوة لو بقيت لكان تأثيرها عظيماً في عصر ملآن من الحوادث الكبرى

زعموا الحزن يملأ المرء حكمه   اسفاً اي حكمة اخفاها
ذلك القبر . اي هدي ونعمه   في صروف آتٍ علينا دجاها !

***

افعندي ريب — واني ادري   قوة الفهم والحجا والثبات
فيك والجد للعلى والفخر — بالذي كنت نلته في الحياة [1]

***

في حياة الاوطان في الاضطراب   يا رسولاً للخير والبركات
اي صوت في مجلس النواب   اي ركن في ثورة العاصفات

***

حين تمسي الشجاعة القوميه [2]   في حمى الشرع والنظام عميمه
وكثار تعم كل البريه   ثورة تقلب الاصول القديمه

(١) بالذي متعلق بريب (٢) في الاصل حتى تمسي الشجاعة المشروعة قوية عميمة الخ والمعنى عند التدقيق واحد

صدماتٌ في كل قطرٍ وقومٍ وصراخ الشقا وفرط العذابِ
وجميع البلدان مثل خِضَمٍّ لجّةٌ فوق لجةٍ باضطرابِ (١)

الدور المئة والرابع عشر

ما اجلَّ المعرفة وما اشد حاجتنا اليها ! على انها يجب ان تكون مقرونة بالحكمة السماوية والاّ فهي كالغلام الاغرّ قليل الادراك محدود الفهم . بل كثيرًا ما تكون المعرفة الخالية من روح الحكمة آفة ضررها اكثر من نفعها

من ترى ليس يعشق العرفانا مَن على حُسنهِ يثير عداه
من ترى حاصرٌ قواهُ مكانا فليعمّ الورى ويزهو اعتلاه

***

فجبينُ العرفان بالنار يُذكى (٢) مقبل الوجه كلَّ حين تراهُ
واثبًا للامام (يطلب ملكا) مخضعًا كل كائنٍ لهواهُ

***

انما في غواية الغلمانِ لم يزل سيّا امام القبرِ (٣)
جرّدوهُ عن خالص الايمانِ وعن الحبّ يمسِ روح الشرّ

***

ساحقًا في هبوبهِ الشيطاني كلَّ شيءٍ لكي ينال الحولا
اخبروا العلم انهُ هو ثاني ما لهُ في الورى المقام الاعلى

(١) يشير بهذا العدد الى الانقلابات السياسية والفكرية التي كانت على وشك الظهور في اوروبا

(٢) يشار بالنار الى قوة الوحي والادراك (٣) في الاصل لا يستطيع محاربة الخوف من القبر

ثمّ شيء اسمى فيهدي خطاهُ ملجماً منهُ ذلك العنفوانا
كأخ اكبر يقود اخاهُ حكمة الله ترشد العرفانا

***

هو من ارضنا سليل العقولِ وهي روحية من العلياء
يا صديقي تركتني في السبيلِ وسريعاً بلغت اوج السماء(١)

***

ليت هذا الانام ينمو نموّه ليتهُ في العلاء يكسب كسبهَ(٢)
ليس بالعلم وحدهُ والقوّه بل بروح التقى وروح المحبّه

---

(١) في الاصل يا صديقنا الخ (٢) في الاصل الضمير المخاطب

الدور المئة والخامس عشر

يعود فصل الربيع بازهارهِ وانوارهِ فيشعر الشاعر بربيع في فؤادهِ ويصبح الحزن كبنفسجة بين تلك الازهار

زال فصل الثلوج والامطارِ وزهت بالحياة روح الوجودِ
واتانا الربيع بالازهارِ فكسا الروضَ كلَّ برد جديدِ

***

فاسمع الطير تملأُ الغاباتِ باغانٍ تميد منها الغصونُ
يا لشدو القنابر الشادياتِ وهي في الجوِّ لا تراها العيونُ

***

وبياض القطعان في كل وادِ وعلى المرج زاهر الالوانِ
هوذا السفن رائحات غوادِ في مجاري الانهار والخلجان

***

وكذاك الزُورنس فوق الصخورِ يتغنى او غائصاً يتوارى
والوفُ من عابرات الطيورِ آتياتٍ لكي تربي الصغارا[1]

***

وانا مرتدٍ بثوب قشيبِ من ربيع لقد بدا في جَناني
فغدا الحزن كالبنفسج المحبوبِ بين زُهر الحقول في نيسانِ

---

(١) الطيور القواطع . المعروفة والزورنس طائر بحري

الدور المئة والسادس عشر

ان العواطف التي يهيجها هذا الربيع في نفسي هي بالاكثر عواطف الوجد والشوق الى لقاء الحبيب في دار الخلود – لا عواطف الاسف والحزن على ما مضى من سالفات العهود

أفوجدًا على العهود السوالف بي أثار الربيع في نيسانِ
فاستعارت من الربيع العواطف حللاً سندسيةَ الالوانِ

***

لا. فالحان ذي الطيور الشوادي والنسيمات في الرياض البليلهْ
وحياة الربيع طرًا تنادي ثق بما يجعل الحياة جميلهْ

***

كلما كنت بانفرادٍ فقربي وجه حبي يفيض بالانوارِ
صوته لا يزال يملأ قلبي راويًا لي ما لذ من اخبارِ (١)

***

ليس وجدي على الربوع الخوالي ليس شوقي لسالفاتِ العهودِ
او لحبٍ عني طوته الليالي مثل شوقي الى اللقاء السعيدِ

---

(١) متكلمًا عني وعما احب

الدور المئة والسابع عشر

ألا يجوز ان نقول ان الايام قد اطالت أمد الفراق بيننا لكي تزيد سعادة اللقاء

أيها الدهرُ أيها الأيامُ انتِ ابقيتني على الغبراء
بعد حبّي كيما يزيد الأُوامُ (١) فيزيد السرور عند اللقاء

***

كي يزيد البعاد فيّ اشتياقا لحبيبٍ عني نأى وتعالى
فيكون اللقاء اذ نتلاقى لكلينا اشهى واسعد حالا

***

ونُجازَى عن كل جزء صغيرٍ من زمانٍ يقاس بالآلاتِ
عن ثوانٍ وعن طوال الدهورِ عشرات الاضعاف من بركاتِ (٢)

(١) الأُوام العطش ويراد به هنا الشوق الى اللقاء وهي ليست في الاصل (٢) موقع الفعل – نجازى في آخر العدد السابق. واصل هذا العدد – عن كل حبة رمل من الساعة الرملية وكل حركة من حركات دواليبها المسننة وعن كل دورة من دورات الشمس الخ

الدور المئة والثامن عشر

واضحة عظات الدهر لنا في كرور الايام والسنين . الجس الانسان اعلى درجات الارتقاء في الطبيعة ولكنه ليس النهاية بل هو رمز الى ارتقاء اسمى فليدفعنا ذلك الى مجـاراة ناموس الرقي في نفوسنا محاولين ابداً ان نميت الاصل الحيواني لنرفع النفس البشرية الى اعلى ذروات المجد

فتأمَّلْ حوادث الازمانِ   منذ كان الزمانُ غضَّ الاهابِ
هل ترى الحبَّ في بني الانسانِ   او ترى الحقَّ مثل بالي الترابِ

***

لا لعمري فانما الراقدونا   — ظاهراً — في فساد دار الفناء
بنظام اسمى غدوا يرتقونا   للمرامي العليا مراقي السماء

***

زعموا الارض من حوامي سدامٍ   في دهورٍ بهنَّ كرَّ الزمانُ(١)
كل شكل بدا مع الايامِ   في نظام ثُمَّ اتى الانسانُ

***

وارتقى منبئاً بشكلٍ أتمَّا   سوف يبدو على الثرى من بنيهِ
بل بمجدٍ اسمى له ان أتمَّا   مقصد الدهر والطبيعة فيهِ

(١) اشارة الى الراي السديمي الذي قدّمه لابلاس في نشوء الاكوان

وعدا والشقاء يعلو جبينه   وهو يخطو على الزمان ويرقى[١]
مظهرًا انّ ذي الحياة ثمينه   لا كنبرٍ من غير جدوى مُلقَى

***

بل حديدٌ من معدن الاحزانِ   بعد احماء جسمهِ بالنارِ
ثم غمسٍ في مدمعِ الاجفانِ   طرقتهُ مطارق الاقدارِ

***

فانهض الآن واطرد الشيطانا   منك والشهوة التي في الجنانِ
وتقدّمْ دومًا وكن انسانا   واميتنّ اصلك الحيواني[٢]

(١) يحتفل هامة بالمصائب والرزايا   (٢) في الاصل النمر والقرد فيك

الدور المئة والتاسع عشر

امام منزل صديقه. يقف الشاعر مرّة اخرى لا كما وقف قبلاً حزيناً باكياً بل مبتهجاً فرحاً بالحياة الجديدة التي يبعثها الربيع في نفسه

أيها ذي الابوابُ كم مرّاتٍ هاج مرآكِ مهجتي المحزونه
رقد الحيُّ(١). انني غير آتٍ للبكا. والربيع يغشى المدينه(٢)

***

ها انا سامعٌ غنا الاطيار وارى الفجر من خلال المنازلْ
قد بدا نورهُ فاحيا اذكاري لك يا حِبُّ(٣) والليالي الرواحلْ

***

فسلاماً ما زال ثغرك حلواً وبعينيك ضاء نور الصداقهْ
ان اصافحك لا بحزنٍ وشكوى في فؤادي وإنْ اثرت اشتياقه

---

(١) في قوله الاصل رقدت المدينة (٢) في الاصل وانا اشم رائحة الاعشاب
(٣) يا حب التفات الى صديقه

الدور المئة والعشرون

يعود الى فكرة البعث والخلود – منية نفسو ومطمح آمالو – وكأنه يقول اذا صحّ رأي الماديين فباطل ايماننا بل وباطل كل رجاء لنا وكل سعادة في الحياة

لم يكن باطلاً جهاد فؤادي   لا وربّي فما الحياة ترابا
لم يكن باطلاً شديد جلادي   للردى. ما الوجود عندي سرابا[1]

***

خَرَفٌ نحن كالقوالب نُصَنع ؟   هاتِ يا علم لي الدليلَ اليقينا
ايُّ جدوى في العلم بل ايُّ مطمع   في وجودٍ ان صحّ ما يزعمونا ؟

***

ان يقمْ بعد في زمانٍ جديدِ   عبقريٌّ اوفى واوفر علما[2]
فليكن سعيهُ كسعي القرودِ   غير اني اسعى لقصدٍ اسمى

---

(١) بدل شديد جلادي نجد في الاصل جلادًا كجلاد بولس للوحوش اشارة الى آية في الانجيل

(٢) عبقريٌّ الخ من قبيل التهكم الادبي

الدور المئة والحادي والعشرون

يشبه الشاعر نفسه المتغيرة بالزهرة التي هي تارة نجم المساء وطوراً نجم الصباح. فيقول انني لم اتغير في حقيقتي ولكني كهذا النجم اذ يبدو صباحاً اظهر الآن مشرقاً بساماً كأنما الحياة قد استيقظت في داخلي وازالت شبح الموت من امامي

فوق لحدٍ للشمس عند المغيبِ　　تلالا في الغرب نجمَ المساء
مستعداً ايضاً لموت قريبِ　　اذ تغوص الاشياء في الظلماء(١)

***

اذ ترى الثور في المسا وهو آيبْ　　من عناء الاعمال قصدَ الهجوعِ
والى الرمل يرجعون القوارب　　ويسود الرقاد فوق الجميعِ(٢)

***

أيها النجم حين تبدو صباحا　　وباذنيك ضجةُ الاعمالِ
تسمع الديك كلما الديك صاحا　　ثم تبدو شمس الضحى في الاعالي

***

والى النهر بعد طول الرقادِ　　ترجع السفن والورى في ضجيجِ
حين تصغي لمطرق الحدادِ　　وترى الثور غادياً للمروجِ

(١) في الاصل وانت تراقب الاشياء يستولي عليها الظلام　　(٢) بعض صور الحياة عند المساء

انما واحد علّي كل حالٍ واحدٌ مع تغيرات المكانِ
وانا هكذا فليس لحالي من حوول رغم اختلاف الزمانِ

الدور المئة والثاني والعشرون

يتمنى ان تعود اليه روح صديقه فتملأه حياة وتدفعه في سبيل المجد وتفتح له ابواب الحبور والسعادة فيرتفع الى اوج الوجود حيث ينسى كل هم وكل شاغل

كنتَ عوني اذ كنتُ يا حبُّ اسعى في شقائي لكي اسود شقائي
للاعالي شوقاً لعليَّ ارقى حيث اجلو بالنور داجي الفضاء

***

حيث اسمو على جناح الخيالِ للبروج العليا (ونعم المصيرُ)
فارى خاشعاً باوج الاعالي حول نفسي افلاكهنَّ تدورُ [1]

***

كنتَ قبلاً وليس هول المماتِ فاصلاً بيننا وهول اللحودِ
فكذا كن معي وابهج حياتي وفؤادي أنعش بروحٍ جديد

***

فتزيدُ الدماء فيه اندفاعا وكطفل امسي عديم اهتمامِ
لا ابالي همّاً فانسى سراعا كل ما في الحياة او في الحِمامِ

(١) اشارة الى المعتقد القديم ان السيارات كانت تدور حول الارض وان وراء افلاكها فلك النجوم الثابتة او الابراج العليا حيث يسمع الانسان موسيقى الافلاك

وبدرِ الندى ارى كل قوسٍ باهرٍ والخيال يلعب حرًا
ساحرُ النور لي يضيء ويمسي كل فكرٍ عن وردةٍ مفترا[٢]

الدور المئة والثالث والعشرون

لا انكر ان كل ما في الطبيعة زائل ومتغير ولكن الروح سرمدية الوجود وهي ترفض زعم المشائين ان الموت فراق ابدي لا لقاء بعدهُ وان الروح تضمحل باضمحلال الجسد

كم رأيتِ يا ارضُ من تغييرِ هوذا البحر حلَّ فوق المزارعْ
واديم الغمر المحيط الكبيرِ قد علا فوقهُ ضجيج الشوارعْ[١]

***

كل شيءٍ في الارض سوف يزولُ وكظلٍّ جميع هذي الجبالِ
يتشكّلن والشكولُ تحولُ ثم تمضي كالسحبِ او كالظلالَ

***

غير اني للروح الجا امتناعا وبها تنظر الهدى عيناي[٢]
ان اودّع فما وداعي وداعا ابديًا مهما تقل شفتايَ

---

(١) اشارة الى الحبور الذي يحصل عليه اذ يرى الخيال جمال الحياة فينسى همومه واحزانه

(١) يراد بذلك كم من ارض كانت قبلاً تحت المياه وكم من بحر كان قبلاً يابسة (اشارة الى الاحداث الجيولوجية) (٢) الاصل الحرفي بالروح احلم حلمي وهو الحقيقة لدي

الدور المئة والرابع والعشرون

هكذا نصل الى الحقيقة الازلية فندرك الوجود الاسمى قوة القوات لا بالبينات العقلية والبراهين العلمية ولكن بشعور القلب الذي يرى في وسط الشكوك والظلمات يد القوة العليا ممدودة لخير البشر

قوةُ الكون مصدر الانعام   القديرُ العالي على الاكوانِ
ذلك المستترُ خلف الظلام   مبعث الشكِ مطمح الايمانِ

***

لا اراهُ في الارض او في البروج [1]   ليس يبدو في ظاهرات الحياةِ [2]
لا لعمري ولا بواهي نسيجِ   حاكهُ العقلُ طالب البيناتِ

***

ان اتاني صوت يناجي ضميري   "لاتؤامن". ونام ايمان صدري
وسمعتُ الامواج فوق الصخورِ   مزبداتٍ على شواطي الكفرِ

***

فبصدري حرارة تتلظى   وتذيبُ الجليد في العقل ذوبا
وفؤادي يصيح في الصدر غيظا   انني شاعر دع الفهم جنبا [3]

***

وكطفل ادعو — وانَّ دعائي   يملأُ القلب حكمة في عماهُ [4]
هو يدعو اباهُ في البلواء   عالمًا قربهُ اذا ما دعاهُ

---

(١) الاصل في الارض او في الشمس والبروج يراد بها بروج السماء (٢) الاصل في جناح النسر او عيون الموام (٣) أي شاعر بالحقيقة دون ان افهما (٤) عماه . الضمير راجع الى القلب

فتريني حقيقتي ما اراهُ من وجود اسمى من الافهام
وارى الله باسطًا يمناهُ لهدى الخلق من وراء الظلامِ

الدور المئة والخامس والعشرون

دافع واحد دفعني الى هذه النشائد — هو الحبُّ — ومهما كان فيها من الحان اليأس والحزن فان الحب يملأها رجاء وهذا الرجاء بل هذا الحب سيرافقني الى النهاية هاديًا ومنيرًا لي سبيل الحياة

ان يكنْ في الذي بدا من كلامي ونشيدي تناقض في الشعورِ
او اكنْ قد عزفت من انغامِ تبعث اليأس والأسى في الصدور

***

فرجائي ما زال غضًا بقلبي ولئن كان لا يرَى بوضوحِ
لست اخشى ان مازج الشكُّ حبي فهو قد شيد فوق اسٍ صحيحِ (١)

***

انما الحبُّ وحي هذا النشيدِ روح شعري به جرت من يراعي
مفعمًا كان بالهموم السودِ او بهيجًا للنفس والاسماعِ

***

وهو يبقى معي الى ان تراني ماخرًا نحوك المحيط الخفيا
حين تذوي في الجسم عند الاوانِ قوةٌ فيه تحفظ الجسم حيًا

(١) اي ولئن كان الرجاء لا يرى جليًا ما وراء القبر فهو قويٌ في نفسي واني لا اخشى ان يمازج الحبَّ بعض الشك لانه قائم على اساس اليقين (٢) المحيط يراد به الموت

الدور المئة والسادس والعشرون

الحب عندي سلطان الوجود ومع اني لا ازال هنا في ملكهِ الارضي (الحياة الارضية) فان لي من الملا الاعلى رسلاً يانونني بالاخبار السارّة عن رفيقي موكدين لي صفاء الحياة وحسن المصير

كان حبي ولم يزل سلطاني   ولدى عرشهِ اقضي الزمانا
اتلقى من الملا الروحاني   عن صديقي الاخبار آناً فآنا

***

كان حبي ولم يزل سلطاني   وسيبقى كذاك في كل حينِ
في حماهُ احيا هنا بأمانِ   واذا متُّ جندهُ يحميني

***

ولديَّ الحرّاس في الليل اسمع   يتنادون في سكون الظلامِ
من مكانٍ الى مكانٍ فاشجع   عارفاً انهُ نداء السلامِ [1]

---

(١) مشيراً الى العادة المتبعة بين الحرّاس اذ ينادي الواحد الآخر في الليل ليتأكد ان كل شيء على ما يرام

الدور المئة والسابع والعشرون

نعم سلام لا للشاعر او لرفيقهِ فقط ولكن للعالم اجمع . هوذا الام قائمة قاعدة تطلب التقدم والرقي . فالنظامات القديمة قد بدأت تسقط الى الحضيض امام النظامات الجديدة – ثورة عامة في الشعوب قد اندلع لسانها الى كل مكان – ولكن وراء النار ووراء الدماء سيطلع فجر السلام مشرقاً بنور الرجاء

أسلامٌ . وقوّة الايمانِ[1] تتلاشى لدى ظلام المخاوفْ
إنني نعمري فمن لهُ أذنانِ يسمع الصوت من وراء العواصفْ

***

معلنًا في الورى انتصار العدلِ وحقوق الافراد والطبقاتِ
رغم ان السين العظيم سيعلي ضفّتيهِ تراكُمُ الاَمواتِ[2]

***

وسيسطو على المليك العظيمِ والحقير الصعلوك هول المصابِ
وسيهتزُّ كلُّ اسٍّ قديمِ وتخرُّ الابراجُ فوق الترابِ

***

وركام الجليد تجري بحارا والى الارض كل حصنٍ منيعِ
والى الجوّ تبعث الارض نارا وبغطّي الزمانَ بحرُ النجيعِ[3]

---

(١) الاصل الايمان سينفصل عن ظاهرهِ ونظاماتهِ الخارجية (٢) اشارة الى الاضطرابات السياسية في اوروبا ولا سيا الثورة الفرنسوية في منتصف القرن التاسع عشر . السين نهر باريس (٣) وصف اهوال الانقلاب السياسي كما في العدد السابق . النجيع الدم

ويثير الجحيم كلَّ لهيبِ   انما انت كوكبٌ في الظلامِ [1]
باسمًا ترقب اضطراب الشعوبِ   عارفًا انهُ لخير الانامِ

الدور المئة والثامن والعشرون

ان حبي الذي قهر آلام الموت وعلا الى اعالي السماء لا يستطيع ان ينظر في الوجود نظر المتشائم المتطيّر . قد يزعمون ان تقدّم العالم وهم وان الحضارة عبارة عن همجية قديمة في اثواب جديدة ولكن الحقيقة ان البشرية في تقدم مستمرّ . نعم تمثر احيانًا كثيرة ولكنها ابدًا تسير الى مرمى اسمى

انَّ حبًّا قد فاز بالعلياء   وتسامى امام هول الحِمامِ
ابدًا ناظرٌ بعين الرجاء   لاطِّراد الرقيّ في الانامِ [2]

***

ثمَّ حورٌ — حينًا — وثمَّ ارتدادُ   في مجاري الحياة والعمرانِ
وشعوب عظمى عليها الفسادُ   يتولّى على كرور الزمانِ [3]

***

انما يا قوى الرقيّ الخفيَّة   يا مطايا الرجاء والاهوالِ
أهذي غاياتك المقضيَّة   ان تجيدي طلا القديم البالي [4] ؟

---

(١) انت راجع الى صديقه الفقيد   (٢) حبًّا الخ — يقصد بذلك حبه الذي اشتد وعلا بمكافحة الحزن وان هذا الحب مقرون ابدًا بالايمان الذي يرى تقدم العمران   (٣) حور — رجوع — يراد بذلك لا بد من تراجع قليل في مجاري الارتقاء ولكن ذلك لا يناقض الاعتقاد بالتقدم المطرد كما يشرحهُ في الاعداد التابعة

(٤) قوى الرقي او قوى الصلاح. مطايا في الاصل الساعات التي تحمل لنا عوامل الرجاء وعوامل الخوف الخ غاياتك المقضية في الاصل اهذا كل ما انت فاعلة في الارتقاء ان ترجعي القديم مطليًا ليظهر جديدًا

ان نسلّي للناس سيفًا كهاما ونعيديه مثلما قد كانا
ونغشّي بالترّهات الأناما ونشقّي الاراء والاديانا

***

ان تشلّي المجّانة الحريرا وتعدّي للظلم مأوًى جديدا[1]
وتربنا القفر القديم نضيرا وتبلي الخراب برجًا مشيدا

***

بئس ما تصنعين بين الأنامِ ان يكن ذا غاياتُكِ المقضيّةْ
غير اني ارى جمال النظامِ خلف هذي الظواهر الخارجيّةْ

(١) هذا الدور والدور السابق شرح لقوله ان تجدي طلا التقدم

الدور المئة والتاسع والعشرون

ها اني اختبرت كل شيء – اعماق الحياة واعالي السماء – واليك يا صديقي تعود نفسي . فمنك قد تعلمت ان انظر الى الحياة بعين الرجاء . وبك اصبح الكون يفيض جمالاً على نفسي

يا مُنى القلب انت عني بعيدُ　　بل قريبٌ مني على كلّ حالِ
لك حبي الشديد دوما يزيدُ　　ما تفكّرت بالدنى والاعالي(١)

***

فغريبٌ عنّي وغير غريبِ　　يا وجودًا اعلى ويا ابن البريّة(٢)
خالدٌ انت في العلى يا حبيبي　　انت لي انت لي برغم المنيّة

***

يا صديقي العجيب في كل آنِ　　لك حبي ينمو وان قلّ فهمي
انا راءٍ حلماً جميل المعاني　　وبك الكون فاض حسنًا بحلمي(٣)

(١) ما تفكرت الخ في الاصل ما شعرت ان هناك عالياً وسافلاً او اسفل واعلى　(٢) يا وجودًا الخ الاصل انت الهيٌّ وانت بشري　(٣) الاصل ارى حلماً جميلاً واراك والكون واحدًا في جمالو

الدور المئة والثلاثون

فانا اراك في العالم المنظور تجلى لعينيّ في جماله كأنك روح الحي يتخلل كل الكائنات . وانتشارك هكذا في الوجود لا يخفف حبي لك بل يقوّيه ويُنميه . فما الموت اذن يستطيع ان يميت حبي

صوتك العذب في مجاري الرياحِ وعلى الماء حيثما هو جاري
انت تبدو في الشمس عند الصباحِ وبهيٌّ في الغرب للانظار

***

اين سكناك لست ادري ولكنْ في الدراري وفي الزهور اراكا
مثل روح تغشى جميع الاماكنْ انما ذاك لم يقلّل هواكا

***

إنَّ حبّي امسى اعمَّ واعلى لكَ من سابق الهوى في الفؤادِ
ولئِن غبتَ في الطبيعة واللـهِ امتزاجًا فانهُ في ازديادِ (١)

***

انت ناءٍ عنّي ولكن دانِ يا لحظّي ما زال صوتك قربي
مؤنسي في الحياة (يحيي جناني) واذا متُّ لا يضيعك قلبي

---

(١) اي ولئن اصبحت ممتزجاً بالله وبالطبيعة حتى فقدت ذاتيتك المحدودة فان حبي لا يخف لذلك بل يبقى على ازدياد

الدور المئة والحادي والثلاثون

بخشوع واتضاع يبتهل الشاعر في الختام الى الارادة العلوية ان تقوّي فينا الايمان المقرون بالاعمال الصالحة الى ان يزول عنا ظلام الجهل بارتفاعنا الى العالم الروحاني حيث نلتقي باحبائنا ونعيش معهم الى الابد

أيها ذي الارادةُ العلويّهْ حيّةٌ انتِ لا ترين زوالا[1]
انبعي من صخورِكِ الروحيّهْ وبنا اجري وطهّري الاعمالا

***

فالى الله في هُدى الإيمانِ نرفع الآن صوتنا بالصلاةِ
هو صوتٌ يعلو على الازمانِ لسميع يعيننا في الحياةِ

***

فيقوّي الايمان فينا اليقينا بالذي لا نراهُ بالبرهانِ
قبل[2] ان نلتقي بمن تركونا وتركنا في العالم الروحاني

(١) حية انت ولو زال كل ما في الوجود (٢) قبل متعلقة بالفعل نراهُ بالبرهان

الخاتمة

ذكرنا في مقدمة هذا الكتاب ان الايات التي جعلها الشاعر خاتمة لقصيدتهِ ليست في الحقيقة منها بل هي نشيد مستقل نظم بعدها تذكارًا لاقتران اخت الشاعر سيسيليا بالاستاذ ادمون لشنغتون وقد رأينا النفس اميل الى اهمالها والاكتفاء بخاتمة القصيدة الاصلية

على انهُ لا بدَّ لنا من القول ان الخاتمة التي اهملناها ملأى بروح الحبور والفوز فهي كنشيد الظفر بعد انتهاء المعركة. ترى الشاعر فيها قد بلغ اعلى درجات الفرح النفسي فترك وراءهُ ذكرى الحزن والقنوط ومشى خطوات ثابتة الى الامام الى السعادة الحقيقية التي يشعر صاحبها ابدًا بما يدفعهُ الى محبة الآخرين والشعور معهم في افراحهم

فهو هنا في موقف المشارك بالغبطة — الشاعر بالفرح — الرافل في اثواب الهناء

حزن . فرجاء — فسلام — فسرور

هذي هي الدرجات التي يرتقيها المجاهد الحقيقي توصلاً الى الحياة العليا — الى السعادة الروحية التي لا تدرك الاَّ بالسعي المتواصل والانتصار على آلام الحياة